مَقَامَاتُ ذِكْرِ (القَوْمِ) وَ(المَلَأ) فِي النَّظْمِ القُرْآنِيِّ

إعداد

عَابِد بْنِ سَلَامَةَ سَلِيم الجُهَنِيِّ

بَاحِث دكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مقامات ذكر (القوم) و (الملأ) في النظم القراني دراسة بلاغية

عابد بن سلامة سليم الجهني.
قسم البلاغة والنقد ،كلية اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية
البريد الالكترونى:bbd-6@hotmail.com

الملخص.

أهداف البحث : سيكشف هذا البحث في هذا الموضوع إن شاء الله عن أسرار القران الكريم البلاغية، وسحر بيانه الذي أبهر أعظم اللغويين، وأصحاب اللغة الناطقين بها سليقة، وبيان إعجازه المحكم ، وسر اختيار لفظ القوم في موضع ولفظ الملأ في موضع اخر من القران الكريم كما يكشف عن الخصائص البلاغية في سياق الآيات موطن الآيات موطن الدراسة ، منهج البحث : المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي والذي يهتم بالسياق الممتد الوارد في هاتين اللفظتين وسأتتبع الخصائص التركيبية والصور البيانية والسمات البديعية من خلال التحليل للمصحف وتحديد الآيات التي وردت فيها اللفظتان والتي كان لها بالغ الأثر في معرفة المقاصد القرآنية، والأسرار البلاغية وغيرها .

عينة البحث : الآيات في القران الكريم التي ورد فيها لفظ القوم مقترنة بلفظ الملأ ، أو لفظ الملأ بشكل مستقل .

نتائج البحث : توصل البحث إلى دقة النظم القرآني في اختيار الكلمات . حيث بلغت الدقة مبلغها في اختيار لفظة القوم في سياقها بدلاً من الملأ . وفي سياقات أخرى جاءت لفظة الملأ دون القوم .

وكان كل لفظة دقيقة في موضعها وبليغة في موقعها .

الكلمات المفتاحية : القوم ، الملأ ، النظم القرآني.

Maqamat mentioned (the people) and (the public) in the Quranic systems.

Preparation:
Abed bin Salama Salim al-Juhani
Department of Rhetoric and Criticism, College of Arabic Language, Islamic University, Madinah, Saudi Arabia.
Email: bbd-6@hotmail.co

Abstract

This research will reveal in this subject, God willing, the rhetorical secrets of the Noble Qur'an, the magic of its statement that dazzled the greatest linguists, and the owners of the language who speak it fluently, and the statement of its precise miraculousness, and the secret of choosing the word of the people in one place and the word of the mullah in another place of the Holy Qur'an as It reveals the rhetorical characteristics in the context of the verses, the home of the verses, the home of the study.

Research Methodology: The approach followed in this study is the analytical approach, which is concerned with the extended context contained in these two terms.

Research sample: The verses in the Holy Qur'an in which the word "people" is mentioned are associated with the word "mullah," or the word "mullah" independently

Research Results: The research reached the accuracy of the Quranic systems in choosing words. As the accuracy reached its limit in choosing the word folk in its context instead of publicly. In other contexts, the word mullah came without the people .

Each word was accurate in its place and eloquent in its place.

Keywords: people,Almala , Quranic

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. أما بعد:

فإن الله ﷻ أودع القران الكريم أسرار البيان، فجاء مستفيضاً بالمعاني والأساليب الآسرة للألباب، المؤثِّرة بِجمالها في نفوس السامعين من المعارضين قبل المؤمنين المحبّين؛ حتى قال قائلهم: «وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لِمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى»[1]..

إن هذا الوصف– والحق ما شهدت به الأعداء– لَيَدُلّ دلالةً واضحةً أن كتاب الله ﷻ القرآن الكريم يُمَثِّل أرقى نَظْمٍ قام على ما وَصف به الإمامُ الخطابيُّ الكلامَ العاليَ مِن "لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم"[2]. وإذا تأمّلت القرآن وجدتَ هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا، وأشدّ تلاؤما وتشاكلا من نَظْمِه»؛ لذلك جاءت عباراته ومعانيه ودلالاته وألفاظه، في غاية الشرف والفضيلة التي لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح منها، ولا أجزل، ولا أعذل، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً، وأشد تلاؤماً، وتشاكلاً من نظمه– كما يقول الشيخ–، فجاء القرآن الكريم بأفصح الألفاظ، في أحسن النظوم، حيث وضع كل لفظٍ في موضعه بحيث لا تجد لفظاً أولى منه، ولا يتوهم في صورة العقل والذوق أمر أليق به منه، ولقد جاء شاملاً

---

1 أسباب النزول ت زغلول ص 468. لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، ات. كمال بسيوني زغلول، ط.1 دار الكتب العلمية– بيروت ١٤١١هـ.

2 بيان إعجاز القرآن ص27 للإمام الخطابي، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)]، ت. محمد خلف الله أحمد، د. محمد زغلول سلام، ط.3 دار المعارف بمصر ١٩٧٦م.

كاملاً في أحكامه، يحمل في طياته من المقاصد والأغراض التي إن تمسَّك بها الناس هدوا إلى صراط مستقيم، وسعدوا في حياتهم وفازوا بمحبة الكريم العظيم، وجاءت هذه المقاصد في تراكيب سامية فيها من الصور البلاغية والألوان البديعية التي أسهمت إسهاماً كبيراً في إظهار هذه المقاصد، ومن هنا تبلورت فكرة العنوان والتي أحببت أن تكون مرتبطة بكلام الله العزيز، لتنال شرف ارتباطها بهذا الذكر الحكيم، وسيتم من خلالها الكشف عن بلاغة النظم القرآني، وما تحمله من المعاني العظيمة، واللفتات البديعة، وما يتضمنه النظم البديع من جمال فني وتأثير عميق في النفوس، لأن عمود البلاغة هي وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام في موضعها الأخص الأشكل بها فإذا أبدل مكانها غيرها تبدل المعنى فيفسد به الكلام، ويذهب الرونق الذي تسقط به البلاغة.

والبحث في البلاغة القرآنية من أجمل وأعظم الأبحاث قدراً وفائدة؛ لتعلقه بكتاب الله ﷻ أعظم الكتب وأشرفها، فمن خلال البحث يُكشف عن أسرار القران الكريم البلاغية، وسحر بيانه الذي أبهر أعظم اللغويين، وأصحاب اللغة الناطقين بها سليقة، وبيان إعجازه المحكم، ومن خلال تتبع الظواهر القرآنية والأساليب البلاغية خاصة في مزج البديع من حسن اختيار اللفظ في لفظتي (القوم والملأ).

ومما يلفت الأنظار في هاتين اللفظتين أن الأنبياء كانوا يخاطبون أقوامهم بلفظ {□ □ □ □} [سورة المؤمنون :23]، كما جاء على لسان نوح عليه السلام فيأتي الرد منهم على لسان الملأ فقط باتهامه بالضلال فيكون النفي من نوح عليه السلام بلفظ يا قوم، وكان مقتضى الظاهر أن يقول يا أيها الملأ؛ لأن الملأ هم الذين اتهموه، ولفتني أمر آخر اتهامهم له بالضلال بصيغة المصدر الموصوف {بر □ □ بن بى بي تر □ □} [سورة الأعراف:60]، فنفى عن نفسه الضلال بقوله: {تى تي □ □ □} [سورة الأعراف:61]، وأمر آخر استعملوا اتهامه في الظرفية {□ □ □} وبرأ نفسه بحرف الباء {□ □ □}، وهذه الخصائص التركيبية نجدها في

سياق هودعليه السلام مع قومه وفي سياقات أخرى للأنبياء.

وقد ارتأيت أن يكون المنهج المتبع في هذا الموضوع هو المنهج التحليلي، والذي يهتم بالسياق الممتد الواردة فيه هاتان اللفظتان وسأتتبع الخصائص التركيبية، وأحلل الصور البيانية وأحاول وصف السمات البديعية، التي كان لها بالغ الأثر في معرفة المقاصد القرآنية لهذا المواضع

وقد اقتضى ذلك تصنيف الدراسة في مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وفهارس على النحو التالي

الفصل الأول مقام ذكر القوم والملأ في حوار الأنبياء أقوامهم) وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول القوم والملأ في حوار نوح عليه السلام قومه

المبحث الثاني القوم والملأ في حوار هود عليه السلام قومه

المبحث الثالث القوم والملأ في حوار صالح عليه السلام قومه

المبحث الرابع القوم والملا في حوار شعيب عليه السلام قومه

المبحث الخامس القوم والملأ في حوار موسى عليه السلام قومه

الفصل الثاني مقامات ذكر القوم والملأ في سياقات أخرى متنوعة) وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول الملأ في سياق حوار ملك مصر معبري الرؤى

المبحث الثاني الملأ في سياق حوار بلقيس قومها

المبحث الثالث الملأ في سياق الحديث عن استراق الشياطين للسمع من السماء

المبحث الرابع الملأ في سياق وصايا المشركين بعضهم بعضا

المبحث الخامس الملأ في سياقات أخرى متباينة

الخاتمة وفيها أبرز ما تمخض عنه البحث من نتائج، أحسبها موفقة، وأرجو لها القبول

الفهارس فهرس الآيات القرآنية، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات

هذا، والله تعالى أسأل التوفيق والسداد، والقبول لي ولقارئه وللمسلمين أجمعين

وكتبه

عابد بن سلامة الجهني

المدينة المنورة في صبيحة يوم الأربعاء الموافق الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك لعام هـ، الموافق الثاني عشر من شهر أبريل0

الفصل الأول
مقام ذكر القوم والملأ في حوار الأنبياء أقوامهم)

وتحته خمسة مباحث

المبحث الأول القوم والملأ في حوار نوح عليه السلام قومه

المبحث الثاني القوم والملأ في حوار هود عليه السلام قومه

المبحث الثالث القوم والملأ في حوار صالح عليه السلام قومه

المبحث الرابع القوم والملا في حوار شعيب عليه السلام قومه

المبحث الخامس القوم والملأ في حوار موسى عليه السلام قومه

القوم والملأ في حوار نوح عليه السلام مع قومه.

لفظتا القوم والملأ في حوار نوح عليه السلام مع قومة وردتا في مواضع كثيرة، ولكن قبل دراستهما ومعرفة الأسرار البلاغية التي هي موطن الدراسة نذكر مكان ورودهما في القران الكريم، فقصة نوح Σ إجمالاً وردت في سورة الأعراف وسورة يونس وسورة هود وسورة الأنبياء وسورة المؤمنون وسورة الفرقان وسورة الشعراء وسورة العنكبوت وسورة الصافات وسورة الذاريات وسورة القمر، واختتمت بسورة نوح، وفي كل سورة من هذه السور تحمل القصة سياقاً معيناً لا يحمل تكراراً لما قبله، وفيما يلي دراسة المواضع:

الموضع الأول الذي ذكر فيه القوم والملأ في سورة الأعراف:

قال تعالى: {□ □ □ يم يي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ بر □ □ بن بى بي تر □ □ تن تى تي □} [سورة الأعراف:59-62].

فهذا حوار قراني دار بين نوح □ وبين قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، لكن القوم أصموا آذانهم واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكباراً، والذي يَعنينا هنا هو موقع لفظ القوم والملأ في السياق، وما تحمله من سمات بلاغية، وسبب ذكر القوم في موطن معينٍ، وذكر الملأ في موطن معينٍ آخر، وبالتأمل في هذه الآية نجد أن هناك ظواهر أسلوبية امتزجت مع لفظتي القوم والملأ لإظهار المقصد القرآني منهما.

وفي بداية قصة نوح عليه السلام قال سبحانه: {□ □}، وهذا التعبير جاء مؤكداً ومستأنفاً بحرف اللام وحرف قد، وكرر هذا التعبير في أكثر من موضع في القران الكريم، ففي سورة هود قوله تعالى: {□ نى ني □ ىٰر □ □ ين □ □} [سورة هود:25]، وفي سورة المؤمنون قوله تعالى{□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نى ني} [سورة المؤمنون:23]، وفي سورة العنكبوت قوله تعالى: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □} [سورة العنكبوت:14]، لكن اللافت في آية الأعراف هو خلوِّها من حرف الواو على عكس الآيات الأخرى، والسر في ذلك أن قصة نوح Σ في سورة الأعراف أول

قصة للأنبياء ذكرت في السورة، ونوح Σ أول الأنبياء، فبدأ السرد القصصي في السورة بلام الابتداء، ولم تعطف على قصة قبلها، ولم يكن هناك ارتباط بين هذه الآية والآيات السابقة لها في قوله تعالى: {□ لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم نج نح} [سورة الأعراف:57]، فناسب حذف واو العطف في هذا الموضع على عكس ما ورد في السور الأخرى من القران، وناسب بداية القصة بلام الابتداء، وهو استئناف لموضوع جديد لا يرتبط بما سبقه.

"وليس كذلك الآية التي في سورة هود؛ لأن أولها افتتح إلى أن انتهى إلى قصة نوح عليه السلام بما هو احتجاج على الكفار بآيات الله التي أظهرها على أيدي أنبيائه، وألسنتهم صلوات الله عليهم، وتوعد لهم على كفرهم، وذكر قصة من قصص من تقدمهم من الأنبياء الذين جحدت أممهم بآيات ربهم التي جرت على أيدي رسلهم، فعطفت هذه الآية على ما قبلها لما كانت مثلها، فترى أن أول السورة {ٱ□□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ني □ □ ير □ ىٰ □ □ □ □ □ □} [سورة هود:1-2].

وبعد العشر منها: {□ لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ □} [سورة هود:12-13]، ثم وصف حال من آمن بالله ورسله، وأخبت إلى ربه، وحال من افترى على ربه، وحصل على خسران نفسه وشبههما بحال من انطوى على ذكره في قوله: {□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □□ □ □ □} [سورة هود:24]، فاقتضى تشابه القصتين عطف الثانية على الأولى.

وأما في سورة المؤمنين، فإن قبل هذه الآية منها: قوله {□ □ □ □ □ □ □□} [سورة المؤمنون:12]، ثم قوله: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □} [سورة المؤمنون:17]، ثم انقطعت الآي إلى قوله: {□ □ □ □ □ □} [سورة المؤمنون:22]، فكأنما تقدم في هذا المكان مثل ما تقدم في الآية في سورة الأعراف إلا أنه باينه بأن كان فيه: {□ □ □} وقوله {□ □ □ □ □ □}، ثم انقطعت إلى قوله: {□ □ □ □ □ □}، والفلك التي يحمل عليها مما اتخذه نوح عليه السلام ، فدخلت واو العطف في قصة نوح Σ للفظين المتقدمين، وهما: (ولقد) في رؤوس الآيتين، وللمعنى المقتضى من ذكر الفلك الذي نجى الله عليه من جعله أصل الخلق وبذر هذا النسل "(1).

---

(1) درة التنزيل وغرة التأويل، محمد مصطفى آيدين، (ج2/ ص 593- 597).

والناظر في الآيات يجد أن التعبير جاء بلفظ القوم {□ □}، دون الملأ؛ لأن نوحًا عليه السلام أرسل إلى القوم جميعًا، فلا يستساغ ذكر الملأ هنا، فروعي عموم الدعوة في لفظ القوم لشمولها.

وفي إضافة القوم إلى نوح عليه السلام {□ □} تكريم لهم وكونه منهم أحرى بقبول دعوته لهم واستمالة لقلوبهم لتتهيأ لقبول دعوته ورسالته Σ ، ودلالة النداء في قوله: {□ □} فيها تودد وتلطف منه لهم بنسبته إليهم لفتح مغاليق قلوبهم لتتهيأ لقبول الدعوة، والياء للنداء البعيد، وسر اختيارها من بين أدوات النداء الأخرى؛ لكونها ناسبت القوم البعيدين عن الإيمان ولعظيم شططهم في الكفر ناسب اختيارها دون أدوات النداء الأخرى.

ثم قال: {□ □} بدلالة الأمر وهو تكليف لهم بالتوحيد ولا خيار لهم سِوَاهِ، وهو مرسل من عند الله تعالى فنفى قطعاً وجود إله لهم غيره تعالى { }؛ ليقينه بأنه لا معبود بحق سواه تعالى ، ولا خيار للعبد سوى التسليم والطاعة لينجو من عذاب يوم عظيم، " وأكثر محاورات القران الكريم تؤكد مبدأ أساسيًا في الرسالات جميعاً هو عبادة الله وحده لا شريك له، فإنه أساس ثابت لا يتبدل في العقيدة، ولا يتطور بتغير الرسل أو الأزمان، وهذا وراء توحيد اللفظ الصادر عن أكثر من رسول في هذا الأمر "[1].

وقوله تعالى: { } تمَّ تقديم المسند في الحوار هنا ليفيد التقوية والتأكيد، فالمسند المقدم هنا هو الجار والمجرور (لكم) على المسند إليه (من إله) و(غيره) صفة المسند إليه، وقراءة الرفع بالتبعية للمحل"[2]، "وهذا التقديم يؤكد نفي الشركاء، ويقويه، فضلاً عن التوكيد الحاصل من القصر بالنفي وغير؛ لأن المعنى مالكم من إله إلا إياه، ومقام إنكار القوم هذه الحقيقة وغرابتها عنهم اقتضى تأكيدًا مضاعفًا في جملة موجزة بالنفي والاستثناء"[3]، ثم قال: { □ □ □ □ □}، وفي سورة هود قال {بخ بم به تج تح} [سورة هود:26]، "وفي الآيتين أسند العظيم والأليم، وهي صفات مشبهة بالفعل إلى ضمير اليوم تجوزاً "[4] يقول أبو السعود: "

---

(1) الحوار في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (رسالة دكتوراه)– تأليف: د. محمد إبراهيم عبدالعزيز شادي – (274، 275).

(2) بتصرف معاني القرآن المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي (1/ 382).

(3) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (28).

(4) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (276)

ووصفه بالأليم على الإسناد المجازي للمبالغة"، "وفي إضافة العذاب لليوم تجوز؛ لأن الحقيقة أن اليوم ظرف لوقوع العذاب فيه، وأن الأصل (عذاب في يوم)"[1].

وبعد ما وجه نوح عليه السلام الدعوة للقوم جميعاً جاء الرد من الملأ وهم" الجماعة الشريفة ووجهاء القوم وكبارهم، وسميت ملأً لأنهم يملؤون العين مهابة"[2]، ولفظة الملأ هنا أنسب من لفظة القوم وأليق بسياقها؛ لأن الذين أظهروا اعتراضهم على دعوة نوح عليه السلام هم الأشراف والوجهاء، وهذا لا يمنع أن يكون كل القوم معترضين إلا أن الملأ منهم هم أجهر الناس بالاعتراض وأعلاهم صوتاً بالامتعاض؛ لذا جاءت لفظة الملأ في مكانها.

فالملأ هنا هم السادة ووجهاء القوم وأصحاب النفوذ فيهم، وسر الرد من الملأ فقط هو ما يقتضيه الموقف، فأي أمر جديد على الناس وغير مألوف عندهم أول من تكون له الكلمة هم الوجهاء والكبار وجميع الناس ينتظرون فصلهم فيما هم فيه من حيرة.

وكان الرد على لسان الملأ {بر □ □ بن بي بي تر □ □} جاءت مؤكدة (بإن واللام) أي متمكن منك الضلال، وكأنه يتلبسك لباساً، وهو تعبير مجازي عن تمكن الضلال منه قال الرازي: "وقوله: إنا لنراك هذه الرؤية لا بد وأن تكون بمعنى الاعتقاد والظن دون المشاهدة والرؤية، وقوله: في ضلال مبين أي في خطأ ظاهر وضلال بين "[3].

فنفى نوح عليه السلام التهمة عن نفسه بقوله: {تى تي □ □ □ □ □ □ □ □} في هذه الآية رد من نوح عليه السلام مجدداً لاستمالة قلوبهم بنسبتهم إليه، فرد على القوم جميعاً لكن مقتضى الظاهر في غير القران أن يكون الرد للملأ؛ لأنهم هم الذين اتهموه بالضلال لكن نوحاً عليه السلام رد على القوم جميعاً لعموم دعوته عليه السلام وبدايتها، فقال{□ □ □} ولم يقل (لست في ضلال)، فنفى عن نفسه ضلالة واحدة ونفي الأخص يقتضي نفي الأعم، والباء تدل على الإلصاق، واتهام الملأ له (في ضلال) كأنه

---

[1] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (279)

[2] – بتصرف تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – 1422 هـ (ج2/ ص415)

[3] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الناشر (ج14/ص293–296).

منغمس في الضلال في تقييد الظرفية ورده Σ كان بنفي أن تلتصق به ضلالة واحدة، وأثبت لهم بأنه رسول من رب العالمين، وفي نظم الدرر للبقاعي "{تي تي} مجدداً لاستعطافهم {□ □ □} فنفى وحدة غير معينة، ولا يصدق ذلك إلا بنفي لكل فرد، فهو أنص من نفي المصدر، ولم يصف الملأ من قومه هنا بالذين كفروا ووصفهم بذلك في سورة هود، إما لأنها صفة ذم لم يقصد بها التقييد فلا يختل المعنى بإثباتها ولا نفيها، أو لأنهم أجابوه بذلك مرتين: إحداهما قبل أن يسلم أحد من أشرافهم، والثانية بعد أن أسلم بعضهم.

ولما نفى ما رموه به على هذا الوجه البليغ، أثبت له ضده بأشرف ما يكون من صفات الخلق، فقال مستدركاً بعد نفي الضلال إثبات ملزوم ضده: {□ □ □ □}"[1]؛ "ولأنهم أرادوا أنه مغمور في الضلال مغموس فيه فلا يطمع في رشده؛ ولذا أستعير حرف الجر (في) من الظرفية للدلالة على تلبسه بالضلال وتمكنه منه فكما بالغوا في نسبة الضلال إليه بالغ هو في نفيه عن نفسه " [2].

" رد نوح عليه السلام فيه تعليم للناس أدب النقاش والمحاورة وتعليم الدعاة إلى الحق أن يصبروا ويعرضوا عن حمق الناس وألا يغضبوا لأنفسهم؛ لأن هدفهم الإقناع بالحق؛ وذلك بين في حوراه Σ عندما أتهم بالاستغراق في الضلال، فلم يغضب وأكتفى بنفي أن يكون به ضلالة "[3]، "ولما كان الاتهام شنيعاً؛ لأنه يمس العقل منبع الفكر الذي يستند الرسول Σ في دعوته إلى الله كان لا مفر من نفي ما أثبتوه بلفظة، فلا يكفي أن يتضمنه النفي كما هو الحال في التقديم كأن يقول: ما أنا بضال؛ وذلك لردع الافتراء"[4].

وقوله تعالى: {□ □ □ □} جاءت (أبلِّغكم) بالمضارع دلالة على تجدد الدعوة منه عليه السلام ، وجمع رسالات دلالة على أنه حمل رسالات كثيرة من رب العالمين وقوله {□ □} مبالغة في النصح ودوامه بزيادة اللام في (لكم).

من الملاحظ في السور التي ذكر فيها حوار نوح عليه السلام مع قومه تشابه الآيات إلى حدٍ كبير مع تنوع في السياق والتراكيب، ففي سورة الأعراف كانت الدعوة مختصرة، واستكملت الدعوة في سورة يونس في قوله

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ج7/ ص429).

[2] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (239).

[3] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (20).

[4] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (99 – 100).

تعالي: {ﯜ ﯝ ﯞ   ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ} [سورة يونس:71]، ولم يذكر في السياق وجود أتباع لنوح Σ على عكس سورة هود، فقد جاءت طويلة ومفصلة وظهر فيها أتباع لنوح Σ، فقال: {ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ} [سورة هود:27]، فلما خصص الملأ بالذين كفروا دل على أن هناك من آمن معه.

ثم كرر في أكثر من موضع (يا قوم) استمالة لهم وإشعاراً لهم بخوفه وشفقته عليهم محاولة لإخراجهم من الجهل والضلال الذي هم فيه.

وأوجه اختلاف حوارِ نوحٍ عليه السلام في السور "{ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ} [سورة الأعراف:59]، وقال في سورة هود: {ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ} [سورة هود:25-26].

وقال في سورة المؤمنون: {ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ} [سورة المؤمنون:23].

وقوله بعد: "{ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ}، وقال في سورة هود: "{ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ}، وفي المؤمنين: {ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ}.

هو إن للأنبياء -صلوات الله عليهم- مقامات مع أممهم يكرر فيها الإعذار والإنذار، ويرجع فيها عودًا على بدء، الوعد والوعيد، ولا يكون دعاؤهم إلى الإيمان بالله، ورفض عبادة ما سوى الله تعالى في موقف واحد بلفظ واحد لا يتغير عن حاله، مثل الواعظ يفتن في مقاله، والجاحد المنكر تختلف أجوبته في مواقفه، جاءت المحكيات على اختلافها لم يطالب، وقد اختلفت في الأصل باتفاقها؛ لأنه قال لهم مرة باللفظ الذي حكى، ومرة أخرى بلفظ آخر في معناه كما ذكر.

وكذلك الجواب يرد من أقوام يكثر عددهم، ويختلف كلامهم ومقصدهم، وصدق الخبر يتناول الشيء على ما كان عليه، فلا وجه إذا للاعتراض على هذا ونحوه"[(1)]

"وفي قوله تعالي في سورة هود: {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ} قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً، وهو يمثل مرحلة أولى في الدعوة هي عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، ولم يكن أنسب لتأدية هذا المعنى من أسلوب القصر؛ لأنه يحقق غرضاً يتصل بمهمة الرسول إذ يرمي رميتين بقوس واحد أي أنه يدعو إلى عبادة الله وحده، ويدعو إلى ترك عبادة ما سواه

---

(1) درة التنزيل وغرة التأويل (2/ 598– 600).

في جملة واحدة {□ □ □ □ □}، فضلاً عن قدرة هذا الأسلوب بما فيه من تأكيد وحسم على التأثير، وحمل المخاطب ما أمكن على مراجعة موقفه "[1].

في الآية التي بعدها جاء الرد من الملأ في قوله: {تمـ ته ثمـ □ جمـ □ حمـ □ خمـ □ □ □ سمـ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □} [سورة هود:27].

" هذه الإجابة من قوم نوح عليه السلام تعكس اعتقاداً فاسداً لديهم هو أن الرسول لا يكون إلا ملكاً؛ ولذا نزلوا نوحاً عليه السلام منزلة من ادعى أنه ملك، فردوا عليه بالنفي والاستثناء يؤكدون بشريته، وبانضمام القصر الثاني إلى الأول تظهر محاولتهم إثبات أنه غير جدير بالرسالة، وهو ما صرح به في الحكاية عنهم{حمـ □ خمـ □ □} إلى أن قال: {بمـ بهـ تجـ تحـ تخـ تمـ تهـ} [سورة هود:43]، ويتبيَّن من ذلك أن المعول عليه في تحديد المنفي هو السياق والقرائن، وأن الصفة المنفية قد يدعي بها المخاطب ثبوتها، وقد ينزل منزلة ذلك "[2].

بعد ذلك كرر نوح عليه السلام مناداتهم بلفظة القوم وناسبت السياق؛ لأنها دعوة عامة.

وفي تكرار منادتهم في قوله: {لخ لم لى لي □□ □□ □ □ □ □ □} [سورة هود:29]، "قصر الأجر على الله لا عليهم، وقد صرح بما تضمنه القصر قبله {لم لى لي □}، فهو من التأكيد مرة بعد أخرى، والباعث عليه أن يبرهن على صدقه وإخلاصه بأنه لا يطلب منهم أجراً، ويؤكد البرهان على صدقه، فكأنه عليه السلام ينزلهم

بسبب رفضهم منزلة من اتهمه بطلب الأجر "[3].

"وقوله: {□ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم □ جم □ حم} [سورة المؤمنون:24] في هذه الآية الكريمة جمع بين الملأ والقوم وفرق كبير بين تأخير (من) عن قوله تعالى: {□ ين □ □}، كما جاءت في التلاوة الكريمة وبين تقديمها عليه في غير القران هكذا، وقال الملأ من قومه الذين كفروا...، فالتركيب الأخير يدل دلالات مهمة على:

---

(1) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (90).

(2) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبة وصوره البيانية (92).

(3) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبة وصوره البيانية (94-95).

الأولى: أن الذين كفروا هم الملأ، وأن الملأ لا يدخل فيه أحد غير الذين كفروا...، فالذين كفروا تمالؤوا عليه عليه السلام وتقوَّوا ببعضهم البعض...

الثانية: أن الملأ الذين كفروا هم أهل السطوة والنفوذ من القوم، وهذا يتسق مع طبيعة العصاة المتمردين على المرسلين من جميع الأقوام- وسيرة نبينا ﷺ ، وكذلك سيرة موسى عليه السلام ظاهران في هذا...

الثالثة: أن الملأ الذين كفروا بعض القوم، فهم الفصيل المتمرد العاصي.

الرابعة: أن القوم أشمل وأعم من الملأ، وأن الملأ أخص من القوم، وأن الملأ غالبًا هم ذووا النفوذ في الملأ...، فهم الذين يقولون، وهم الذين يتصدون للأحداث الجليلة، ويطلعون بمواجهتها- مثل أحداث مجيء الرسول بالتكاليف"[1].

ولما ختم الملأ جوابهم له بالتكذيب رد عليهم مبيناً لهم ما هم فيه من ضلال وصد عن سبيل الله، فكرر كلمة القوم ونسبتهم إليه في آيات متتالية، فقال تعالى على لسان نوح عليه السلام: {لى لي □ □ □ □ □} [سورة هود:63]، وقال تعالى في الآية التي تليها: {لخ لم لى لي □} ثم كرر أيضاً في الآية التي تليها: {□ □ □ ّ □ □} [سورة هود:30]، في هذا التكرار والتنبيه بمناداتهم ونسبتهم له استمالةً لقلوبهم واستعطافاً لهم وتوداداً وتلطفاً لاستثارة نفوسهم، وتحريك همهم واستنهاض غرائزهم في تلقي الدعوة، ولم يناسب مناداتهم هنا بالملأ؛ لأن الدعوة عامة.

وتتكرر لفظة القوم كثيراً في سياقات متنوعة، وهذا أمر طبعي؛ لأن جميع الأنبياء أرسلوا إلى أقوامهم، وكانت دعوتهم إلى الأقوام جميعاً، فلم يختص بالدعوة أحد دون الآخر، ولم يشذ عن الدعوة واحد من القوم؛ لذا كان من الطبعي أن تتكرر لفظة القوم بصورة ملحوظة أما لفظة الملأ فغالباً ما تأتي في سياق اعتراض القوم على أنبيائهم، فورودها كان قليلاً، وقد تأتي اللفظتان مقترنتين كما في قوله تعالى: {لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □} [سورة هود:38].

لفظ الملأ هنا أنسب للسياق؛ لأن السخرية وقعت من الملأ وهم وجهاء القوم الذين تتعارض دعوة النبي عليه السلام مع مصالحهم ونفوذهم في قومهم، وذكر لفظ القوم معها؛ لأن الملأ بعض من القوم وتقديم الجار والمجرور على لفظ الملأ أنسب لفكرة النظم فنوح Σ هو المقصود من الحديث {لخ لم}، وتأخير الفاعل يجعل النفس تترقب وتتشوق إليه، وهذا التقديم جعل النظم منسجماً انسجاماً عالياً نفتقده لو قيل كلما مر ملأ من قومه عليه.

---

[1] حديث سمعته من أ. د. أحمد سعيد أستاذ البلاغة في جامعة طيبة

ورد لفظ القوم في سورة الفرقان في قوله تعالى: {ﱕ □ □ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ □ □ □ □} [سورة الفرقان:37].

لفظ القوم هنا أنسب للسياق؛ لأن نوح لم يؤمن به إلا القليل ونجوا معه في السفينة، فالذين كذبوا أغرقهم جميعاً من الملأ ومن غير الملأ، فلم يصلح في هذا السياق لفظ الملأ؛ لأن التكذيب كان من الملأ ومن غير الملأ. فلم يكن التكذيب محصوراً في وجهاء القوم فقط، وهذا لا يمنع أن يكون من القوم أناس صدقوا بدعوة نوح Σ لكن أعدادهم لا تذكر بالقياس إلى القوم، وقد أختلف العلماء في تحديد من آمن مع نوح قيل: ثمانون، وقيل: اثنان وسبعون، وقيل: عشرة، وقيل: نوح وأولاده الثلاثة وزوجاته سام ويافث وحام، "فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهما- كَانُوا ثَمَانِينَ نَفْسًا مِنْهُمْ نِسَاؤُهُمْ، وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ كَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ نَفْسًا، وَقِيلَ: كانوا عشرة، وقيل: إنما كان نُوحٌ وَبَنُوهُ الثَّلَاثَةُ سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ"[1].

من الآيات التي ورد فيها القوم قصة نوح عليه السلام في سورة الشعراء قال تعالى: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ □ ﲝ □ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﲦ ﲧ ﲨ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﲩ} [سورة الشعراء:105-117].

لفظة القوم هنا ناسبت مكانها؛ لأن قوم نوح كذبوا جميعاً فناسب ذكرها في هذا الموضع دون الملأ؛ ولأن الآية ذكرت في سياق عموم التكذيب، ودلالة العموم هي لفظ القوم وليس الملأ.

وفي هذه الآيات سمات بلاغية منها:

أولاً: وصف القوم بالتكذيب مع أن منهم من آمن بنوح Σ؛ لأن قومه لم يؤمن منهم إلا القليل بدليل قوله تعالى: {ﱘ ﱙ □ □ □ □ □ □ □} [سورة هود:40].

ثانياً: علة جمع المرسلين مع أن قومه لم يكذبوا الرسل جميعاً، وإنما كذبوا رسولهم فقط وهو نوح عليه السلام؛ لأن من كذب رسولاً واحداً، فكأنه كذب جميع الرسل؛ لأن دعوتهم واحدة، وهي توحيد الله بالعبادة.

جاء في اللباب أنهم كذبوا الرسل لوجهين:

"أحدهما: أنهم وإن كذبوا نوحاΣ لكن تكذيبه في المعنى يتضمن تكذيب

(1) تفسير ابن كثير، المحقق: محمد حسين شمس الدين (ج4/ ص279)

غيره؛ لأن طريقة معرفة الرسل لا تختلف من حيث المعنى؛ لأن كل واحد من المرسلين جاء بما جاء به الآخر، فلذلك حكى عنهم أنهم كذبوا المرسلين.

وثانيهما: أن قوم نوح عليه السلام كذبوا جميع رسل الله، إما لأنهم كانوا من الزنادقة أو من البراهمة "[1].

{   ﲿ ﳀ} دلالة التعبير بالأخوة فيها حسن عرض جاء في فتح القدير للشوكاني: "إذ قال لهم أخوهم نوح أي: أخوهم من أبيهم، لا أخوهم في الدين، وقيل: هي أخوة المجانسة، وقيل: هو من قول العرب: يا أخا بني تميم، " [2].

في سورة الذاريات قوله تعالى: {   } [سورة الذاريات:46] في هذا السياق ناسب ذكر لفظ القوم؛ لأن سياق الآية يتحدث عن العموم، فلا يصلح استخدام لفظ الملأ هنا، وتكرار لفظ القوم مبالغة في فسوقهم، وأنها صفة ملازمة لهم.

ورد ذكر لِفْظِ الِقَوِمِ في سورة القمر قال تعالى: {   ﲈ ﲉ ... ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ...} [سورة القمر:9-13]، إجمالاً ذكر الله E بماذا أهلك الأمم السابقة بداية بمن عصى نوح عليه السلام إلى القوم الذين عصوا موسى Σ، وفيها وعيد للمشركين الذين كذبوا النبي محمد ﷺ بعرض ما حل بالأمم السابقة حينما كذبوا الرسل.

قال في الآية (كذبت، كذبوا) بالماضي للفعلين تأكيداً لتكذيبهم، ووصل الجملتين بحرف الوصل الواو (وقالوا)، لعدم وقوفهم عند التكذيب فقط، بل وصلوا إلى زجره ووصفه بالجنون، ثم قال في الآية (عبدنا) فيها تكريم لنبي الله نوح Σ، فمقام العبودية أعلى وسام للعبد وفيها تسلية للنبي ﷺ .

ناسب في هذه الآية ذكر لفظ القوم عن الملأ؛ لأن نوحاً عليه السلام لم يؤمن به إلا القليل، فنسب فعل التكذيب إلى القوم جميعاً لتواطئهم على الكفر، فلا يصلح لفظ الملأ في هذا السياق.

في سورة نوح عليه السلام قال تعالى: {   ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ...

---

[1] اللباب في علوم الكتاب المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض (ج15/ص55).

[2] فتح القدير للشوكاني (ج4/ ص126).

□ين □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم به} [سورة نوح:1-5]
في هذا الموضع ناسب اختيار لفظ القوم وتكرارها في الآيات لعموم الرسالة، فقال: (إلى قومه) وأضافهم تعالى إلى نوح عليه السلام ، لأنه منهم وابن جلدتهم، ثم كرر اللفظة، وناسب السياق ذكرها وتكرارها دون الملأ؛ لأن الإنذار للقوم جميعاً، فلا يصلح استخدام لفظ الملأ هنا.

وفي قوله تعالى: {□ □ □ □ □} تودد وتقرب لهم لتحريك نفوسهم وحثهم على قبول دعوته حتى قال تعالى : {□ □ بج بح بخ بم}، فأتت لفظة القوم في سياق شمول الدعوة للقوم جميعًا، فناسب اختيارها دون لفظ الملأ.

"وَ «قَوْمُ نُوحٍ» هُمُ النَّاسُ الَّذِينَ كَانُوا عَامِرِينَ الْأَرْضَ يَوْمَئِذٍ، إِذْ لَا يُوجَدُ غَيْرُهُمْ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ؛ وَذَلِكَ صَرِيحُ مَا فِي التَّوْرَاةِ.

وَالْقَوْمُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَجْمَعُهُمْ مَوْطِنٌ وَاحِدٌ أَوْ نَسَبٌ وَاحِدٌ بِرِجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ، وَإِضَافَةُ (قَوْمٍ) إِلَى ضَمِيرِ نُوحٍ عليه السلام ؛ لِأَنَّهُ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ فَلَهُمْ مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ بِهِ؛ وَلِأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُمْ بَيْنَ أَبْنَاءٍ لَهُ وَأَنْسِبَاءَ فَإِضَافَتُهُمْ إِلَى ضَمِيرِهِ تَعْرِيفٌ لَهُمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمُ اسْمٌ خَاصٌّ مِنْ أَسْمَاءِ الْأُمَمِ الْوَاقِعَةِ مِنْ بَعْدُ.

وَعُدِلَ عَنْ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَنْذِرِ النَّاسَ إِلَى قَوْلِهِ: أَنْذِرْ قَوْمَكَ إِلْهَابًا لِنَفْسِ نُوحٍ عليه السلام ؛ لِيَكُونَ شَدِيدَ الْحِرْصِ عَلَى مَا فِيهِ نَجَاتُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَإِنَّ فِيهِمْ أَبْنَاءَهُ وَقَرَابَتَهُ وَأَحِبَّتَهُ، وَهُمْ عَدَدٌ تَكَوَّنَ بِالتَّوَالُدِ فِي بَنِي آدَمَ فِي مُدَّةٍ سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ حُلُولِ جِنْسِ الْإِنْسَانِ عَلَى الْأَرْضِ. وَلَعَلَّ عَدَدَهُمْ يَوْمَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ نُوحٌ لَا يَتَجَاوَزُ بِضْعَةَ آلَافٍ"[1].

"وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَهَا اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا لِجَوَابِ سُؤَالِ السَّامِعِ أَنْ يَسْأَلَ مَاذَا فَعَلَ نُوحٌ عليه السلام حِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ، وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ، وَافْتِتَاحُ دَعْوَتِهِ قَوْمَهُ بِالنِّدَاءِ لِطَلَبِ إِقْبَالِ أَذْهَانِهِمْ وَنِدَاؤُهُمْ بِعُنْوَانِ: أَنَّهُمْ قَوْمُهُ، تَمْهِيدٌ لِقَبُولِ نُصْحِهِ، إِذْ لَا يُرِيدُ الرَّجُلُ لِقَوْمِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ لِنَفْسِهِ، وَتَصْدِيرُ دَعْوَتِهِ بِحَرْفِ التَّوْكِيدِ؛ لِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْخَبَرِ"[2]

---

(1) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (29/ 187).

(2) التحرير والتنوير (188/29).

القوم والملأ في حوار هود عليه السلام مع قومه

حوار هود عليه السلام ورد في القران الكريم في أربع سور هي: سورة الأعراف وسورة هود وسورة الأحقاف وسورة الحاقة.

الموضع الأول في سورة الأعراف وسورة هود قال تعالى في سورة الأعراف.

{ ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ } [سورة الأعراف:65-69].

وقال تعالى في سورة هود: {ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ } [سورة هود:50-60].

هذان الحواران العظيمان أتيا متشابهين ضمن سياق حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم ودعوتهم لهم وهو عرض قصصي رهيب يصور أحداث وحال الأمم مع أنبيائهم، ويكشف ما لاقاه الرسل عليهم السلام من الصد والتكذيب، ويبين لنا العرض القصصي جمال التعبير القرآني وسحر بيانه وعظمة كلام الله تعالى .

ففي هذه الآيات المباركة أتى حوار هود عليه السلام مع قومه بعد الانتهاء من عرض حوار نوح عليه السلام مع قومه في السور، فجاء الحوار معطوفاً على قصة نوح عليه السلام ، فقال تعالى: {ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ} أي كما أرسلنا نوحاً إلى قومه أرسلنا هوداً عليه السلام إلى قومه، وهم قوم عاد.

وفي هذا الحوار ذكر لفظي (القوم والملأ)، وناسب كل لفظ موضعه، فموضع القوم في الآية لا يناسب لفظ الملأ؛ لأن الدعوة عامة لعبادة الله وتوحيده، فلابد أن توجه للقوم جميعاً أما في موضع لفظ الملأ، فلا يناسب ذكر لفظ القوم؛ لأنها بداية دعوته عليه السلام، ولا يعترض دعوة الأنبياء

والرسل إلا الوجهاء وأصحاب النفوذ؛ لأن دعوة الرسل تتقاطع مع مصالحهم ونفوذهم في قومهم، فناسب اختيار لفظ الملأ عن القوم في هذا الموضع.

"في الآيات ظواهر قصر ترتبط بالمقام، فقد حشد أكثر من جملة قصرية في مقام دعوته لقومه، ويكون اجتماع هذه الجمل القصرية في كلام كلا الطرفين إشارة إلى قمة الرفض من جانب الأقوام في مقابل قمة الحرص والنصح من جانبه عليه السلام ، وهذا يؤدي دوراً في الغرض الجزئي الذي سيق له الحوار، وهو تصوير مدى معاناته عليه في دعوة قومه بسبب ما لاقاه من تعنت وصد عن سبيل الله"[1]

أيضاً في الآيات تعدد وتعاقب للأوامر والمقصود بها الالتماس والتوجيه والنصح، وهذا منهج الرسل في دعوتهم، حيث يقتضي المقام المعاودة والإصرار والإلحاح في مواجهة عناد القوم، وإصرارهم على الرفض، وكل أمر يؤدي وظيفة محددة وتدرجت الأوامر، فبدأت بالأمر بعبادة الله، ثم الاستغفار، ثم التوبة، ثم أشهدهم على أنفسهم، وهذا ظاهر في الآيات السابقة[2].

وقد اتسم الحوار بخصائص بلاغية منها:

أولًا: في الآية الكريمة قدم تعالى عاداً على هود وفيها إشارة إلى تخصيص رسالة هود عليه السلام لقوم عاد "ولما كان عاد بعدهم، ولم يكن هنا ما يقتضي تشويش الترتيب، أتبعهم به مقدمًا المرسل إليه؛ ليفيد تخصيص رسالته بهم، وهم أهل الأرض، فقال: {بج بح} أي خاصة أرسلنا {بخ بم}[3]، فقدم الجار والمجرور على المنصوب، فالتقديم هنا أفاد معنى القصر والاختصاص.

ثانياً: اختار النظم القرآني لفظ {بخ}، وفيها حسن عرض، فكونه منهم رغم كفرهم وبعدهم عن الحق أقرب إلى إجابة دعوته وفهمه، لمعرفته بهم ومعرفتهم به، جاء في التحرير والتنوير " والأخ هنا مستعمل في مطلق القريب، على وجه المجاز المرسل، ومنه قولهم يا أخا العرب، وقد كان هود من بني عاد، وقيل: كان ابن عم إرم، ويطلق الأخ مجازاً أيضًا على الصاحب الملازم "[4].

ثالثًا: استخدام ياء النداء، وهي أكثر تنبيهًا وأكثر لفتًا، وهي تستخدم لنداء القريب والبعيد سواءً بَعُد بعضهم مكاناً عنه أو بَعُدهم عن الدين والحق

---

[1] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (108، 109).

[2] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (167، 168) .

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (51/3).

[4] التحرير والتنوير (8/ 201)

وانغماسهم في الكفر والبُعد عن الله.
والنداء وتكراره في السورتين يحقق هدفين: " الأول تهيئة القوم ولفتهم إلى ما يأتي بعده لخطورته، والثاني يشعر المنادى: الذي أضيف القوم إلى ضميره تعالى بأنه منهم، وليس غريباً عنهم، فهو معروف لديهم "[1].
رابعاً: {تج تح} استرعاءً لأسماعهم بنسبتهم إليه استعطافاً لهم كونه منهم واستمالة لهم؛ لفتح مغاليق قلوبهم؛ لتتهيأ لقبول الدعوة وتوحيد الله بالعبادة.
خامساً: قال: {تخ تم} بدلالة الأمر، وهو تكليف لهم بالتوحيد ولا خيار لهم سواه، فهو مرسل من عند الله تعالى فنفى قطعاً وجود إله لهم غيره تعالى .
سادساً: قال: {تهثم جم □} في هذه الآية قدم قومه لأنهم المقصودون بالحديث، وفيها تشويق للمبتدأ المؤخر، فأصلها في غير القران ما إله لكم غيره، "وتقديم المسند هنا يفيد التقوية والتأكيد خاصة عندما يكون المسند جاراً ومجروراً والمسند هنا هو الجار والمجرور (لكم) على المسند إليه (من إله) و(غيره) صفة المسند إليه، وهذا التقديم يؤكد نفي الشركاء، ويقويه فضلاً عن التوكيد الحاصل من القصر بالنفي وغير؛ لأن المعنى مالكم من إله إلا إياه، ومقام إنكار القوم هذه الحقيقة وغرابتها عنهم اقتضى تأكيداً مضاعفاً في جملة موجزة بالنفي والاستثناء"[2].
سابعاً: قال: {□ □} استفهام إنكاري وأسلوب عرض جميل في بداية الآية أمرهم بالعبادة، وهو أمر حقيقي والزامي {تخ تم}، أما هنا فهو عرض لطيف، وأسلوب رقيق توددا وجذباً لهم، "وَجُمْلَةُ: أَفَلا تَتَّقُونَ اسْتِفْهَامِيَّةٌ إِنْكَارِيَّةٌ مَعْطُوفَةٌ بِفَاءِ التَّفْرِيعِ عَلَى جُمْلَةِ: مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ، وَالْمُرَادُ بِالتَّقْوَى الْحَذَرُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى إِشْرَاكِهِمْ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ وَاعْتِقَادِ الْإِلَهِيَّةِ، وَفِيهِ تَعْرِيضٌ بِوَعِيدِهِمْ إِنِ اسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ. وَإِنَّمَا ابْتَدَأَ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ إِغْلَاظاً فِي الدَّعْوَةِ لِفَظَاعَةِ الشِّرْكِ"[3].
ثامناً: قال في الآية الكريمة: {□ □ □ □ □ □} جاء الرد من الملأ الذين كفروا، ودلالة الوصف أنه خصص، وقيد الملأ بالذين كفروا وقيد آخر {□ □} وفيها إشارة إلى أن من وجهاء القوم من آمن لهود عليه

---

[1] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (318)
[2] معاني القران للفراء (1/ 382) والحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (27، 28).
[3] التحرير والتنوير (8 / 202).

السلام ، فقيد الذين كفروا منع تعميم الرد من الملأ جميعاً، فلفظ الملأ والقوم ناسبتا موقعهما في السياق؛ لأن من يتصدى لرسالة الأنبياء هم الوجهاء والأعيان، وهم بعض من القوم فناسب كل لفظ موقعه في الآية.

تاسعاً: قال سبحانه على لسان الملأ: {□ □} إتهام مؤكد بإن واللام الداخلة على الفعل المضارع، وفي تأكيدهم هذا دلالة على بعدهم وشططهم في الكفر واستخدام الظرف أي أنك داخل السفاهة وأحاطت بك كما يحيط الظرف بالمظروف.

عاشراً: قال تعالى على لسان الملأ {□ □} كلمة سفاهة هنا نكرة، وجعلوها ظرفية، وكأنهم يرونه رأي العين في الجهل وضعف العقل عندما دعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان، "وجعلت السفاهة ظرفاً على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها "[1]؛ ولأنهم أرادوا أنه مغموس في السفاهة، فلا يطمع في رشده، واستعير حرف الجر (في) من الظرفية للدلالة على تلبسه بالسفاهة، وتمكنه منه كتلبس الظرف بالمظروف؛ ولأنهم بالغوا في نسبة السفاهة له بالغ هو في نفيه عن نفسه[2].

الحادي عشر: قال تعالى : {□ □ □ لخ} جاءت الجملة موصولة بحرف الوصل (الواو)، وتأكيد بإن واللام الداخلة على الفعل المضارع بعد اتهامهم له بالسفاهة لم يتوقفوا عند هذا الحد، بل وصفوه بالكذب وبالغوا في وصفه باسم الفاعل، ولا يعبروا بالفعل دلالة على تمكن معنى الكذب الذي وصفوه به ∑، "وَأَرَادُوا تَكْذِيبَهُ فِي قَوْلِهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ، وَفِيمَا يَتَضَمَّنُهُ قَوْلُهُ ذَلِكَ مِنْ كَوْنِهِ رَسُولًا إِلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ"[3].

الثاني عشر{لخ لم لهمج مح مخ مم نج نح نخ} ناسب في هذا السياق ذكر القوم؛ لأن الخطاب موجه للعموم واقتضى الموقف أن ينفي عن نفسه السفاهة للقوم جميعاً، ويبين لهم أنه رسول من رب العالمين، فناسبت موضعها في السياق دون الملأ وتقديم خبر ليس على اسمها وتنكير السفاهة للتقليل، وبعد ما وصفوه بالسفاهة وبالغوا في وصفه بالكذب جاء الرد من هود عليه السلام ، وكأنه على صيغة جواب لسؤال ماذا كان رد هود عليه السلام ؟ فجاء الجواب متلطفاً ومستميلاً لهم بندائهم جميعاً، ونفى عن نفسه ما وصفوه به فقال: {لهمج مح}، فنفى عن نفسه أن تلتصق به سفاهة واحدة

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (2 / 116).

(2) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (239).

(3) التحرير والتنوير (8 / 202).

" قال معلماً الأدب في مخاطبة السفهاء{ﱗ ﱘ} مذكراً بما بينهم من النسب الداعي إلى الود والمناصحة والعطف والملاطفة {ﱙ ﱚ ﱛ}، فنفى أن يكون به شيء من خفة حلم، فانتفى أن يكون كاذباً؛ لأن الداعي إلى الكذب الخفة والطيش، فلم يحتج إلى تخصيصه بنفي"[1]

بعد ذلك استأنف لهم بإثبات الضد، فقال: {ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ} بأنه تعالى لا يأتي لهم بشيء من عنده، وإنما هو مرسل من رب العالمين تعالى، فهو المستحق للعبادة، "والعطف بلكن ينفي ما أثبتوه ويثبت ما نفوه، وهي من قصر القلب"[2]، "وفي حكاية ذلك عنهم تعليم للعباد كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنه ويسلبون أذيالهم على ما يكون منهم"[3]، وهو مشابه لرد نوح Σ على قومه كما بيناه في المبحث الأول.

المواضع المختلفة في سورة هود:

أولاً: قال عز وجل على لسان هود {□ ﳒ □ □ □}، وهنا أسلوب " قصر الموصوف (أنتم) على الصفة (مفترون)، وهو من القصر الحقيقي، وليس المراد نفي كل ما عدا الافتراء من الصفات، ولكن ما كان منه بسبب، أو ما يتصور اجتماعه معه في الذهن كالصدق والحق والإنصاف، ونبي الله يحصرهم في هذه الصفة دون غيرها بسبب شدة عنادهم ورفضهم على أنه يُستظهر من العبارة ما يثبت أن هناك زعماً خاصًا من الخاطبين ينافي ما أثبته نبي الله، فقد جاء كلامه ابتداء مبنياً على ما يراه من حالهم"[4]، فقصر الافتراء عليهم منزهاً نفسه عن ما يتهمونه به، واختلافها عن الآية في سورة الأعراف في قوله: (أفلا تتقون)، "فإن الفاصلة في كلتا الآيتين تدل على أن الدعوة إلى عباد الله وحده لم تكرر إلا لتكرر قولها في موقفين مختلفين تشير كل فاصلة إلى واحد منها، فإن ما ورد في سورة الأعراف كان بإزاء لفتهم إلى ما أصاب قوم نوح عليه السلام ، واستبعاد عدم خوفهم وإنكار عدم اتقائهم العذاب بعد ما علموا بما حل بمن سبقوهم، أما في سورة هود فكان بإزاء لفتهم إلى حالهم وصفتهم القبيحة حين يتمسكون باتخاذ الأصنام شركاء لله، أو حين يزعمون أن الله أمرهم بعبادتهم"[5]، لأن المعنى ما يذكر أبو السعود:

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (51/3).

[2] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (100).

[3] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية (8 / 136).

[4] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (92) .

[5] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (309).

"ما أنتم باتخاذكم الأصنام شركاء له أو بقولكم: إن الله أمرنا بعبادتها إلا مفترون عليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً "[1].

ثانياً: في الآيات {سم □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □} السياقات في هذه الآيات تقتضي ذكر القوم دون الملأ؛ لأن الخطاب عام، وليس خاصاً وتكرار لفظ القوم فيه تحنن وتلطف لهم وكأنه بهذا التكرار يمهد تمهيداً لطيفاً لكي يتقبل القوم دعوته عليه السلام ، وهو أسلوب من أساليب الدعوة، فالداعية إلى الله لابد أن يكون رقيقاً؛ لأن الأسلوب الشديد ينفر ويفرق ولا يجمع ويصد ولا ينفع قال تعالى : {بخ بم به تج} [سورة النحل:125] بعد مناداتهم ونسبتهم له زاد من التحنن والتلطف معهم فقال: {سم □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □}، وهنا أسلوب قصر الصفة على الموصوف فقصر إعطاء الأجر على الله تعالى ، وأنه لا يريد من ذلك أجراً منهم، بل هو مرسل من عند الله ويبتغي الأجر منه تعالى ، "والباعث في ذلك أن يبين لهم صدقه وإخلاصه، ويؤكد البرهان على صدقه بهذا القصر، فكأنه ينزلهم بسبب رفضهم منزلة من اتهمه بطلب الأجر "[2].

ثالثاً: قال تعالى : {□ □} أسلوب عرض لطيف وجميل وخاطبهم بالمضارع كي يحتم عليه الجواب، ويعود إلى طريق الهدى والصواب، ثم كرر مناداتهم، فقال: {□ □ □ □ □ } أمرهم بالاستغفار، ثم التوبة والاستغفار لابد أن يكون على ذنب مضى، فهو يأمرهم بالاستغفار من عبادة الأصنام والأوثان، ومن لوازم الاستغفار من الذنب الندم وعدم العودة لهذا الفعل، فجاء أمره بعدها بالتوبة معطوفة، بثم التي تدل على التراخي، "وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ عطف على ألا تعبدوا، ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، ثم توسلوا إلى مطلوبكم بالتوبة، فإن المعرض عن طريق الحق لا بد له من الرجوع، وقيل استغفروا من الشرك، ثم توبوا إلى الله بالطاعة، ويجوز أن يكون، ثم لتفاوت ما بين الأمرين"[3].

رابعاً: قال تعالى على لسانهم: {يم □ □ □} أوغلوا في الكفر ونفوا الأيمان بأسلوب الجملة الاسمية والاسم أمكن في المعنى من الفعل، فأكدوا نفي إيمانهم به.

الحادي عشر: قال تعالى : {لم لى لي □ □ □} أسلوب نفي

---

(1) – تفسير أبو السعود (2 / 28).

(2) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (95).

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي (3 /127)

وقصر ومبلغة في الاتـهام.
خامساً: قال تعالى على لسان هود عليه السلام: {
ﱻ ﱼ   } قال إني أشهد الله ولم يعطف شهادة قومه الكافرين على شهادة الله سبحانه تنزيهاً له تعالى فعدل الأسلوب من الخبر إلى الإنشاء، "فتجد أن مقتضى الظاهر ان يقال: أشهد الله وأشهدكم، فعدل عن ذلك الأمر: (واشهدوا)؛ لمغزى بلاغي جليل وهو: أن في أمرهم أن يشهدوا ببراءته من دينهم ضرباً من التحدي الذي ينبئ بحقارة ما يعبدون، وفيه أيضاً دلالة على أن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت، وأما اشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب؛ ولذا عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما "[1].

سادساً: قال تعالى: {   ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ}، وصفهم الله تعالى بالجحود والعصيان ودلالة جمع الرسل هنا أن من عصى رسولاً واحداً فكأنما عصى الرسل جميعهم ودلالة على شناعة فعلهم وقبح صنيعهم.
{ﲇ ﲉ ﲋ ﲍ ﲏ   ﲒ
  } جملة دعائية في معنى الإنشاء، واللعنة هي الطرد من رحمة الله، فلما كفروا واذعنوا في الكفر رفع الله عنهم رحمته، وسلط عليه الريح تدمر كل شيء وقدم الدنيا؛ لأن العذاب حل بهم، وبقي عذابهم يوم القيامة على كفرهم بالله وعصيانهم رسله

---

[1] علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني – د بسيوني (ص: 279) .

الفرق بين حوار نوح عليه السلام **وحوار هود Σ:**

القصتان جاءتا متشابهتين في بدايتهما إلى حد كبير ففي بداية قصة نوح Σ مع قومه قال: {لخ لم}، وهو استئناف لحديث جدي غير مرتبط بما قبله، وهي بداية قصص الأنبياء في السورة، ولم تعطف على قصة سابقة لها أما في حوار هود قال: {لم لى لي □ □ □ □} [سورة الأحقاف:21]، عطفت على قصة نوح Σ في تسلسل قصصي رائع، كما أنه عمم رسالة نوح عليه السلام الذي أرسل إلى أهل الأرض جميعاً أما في قصة هود، فقد خصص الرسالة إلى قوم عاد، فجاء {لم لى لي}.

من الملاحظ أيضاً أن في قصة نوح جاءت بفاء التعقيب وياء النداء، بينما في سورة هود لم تذكر بعد ٍذلكٍ توحدت الرسالة بدلالة أمرهم لأقوامهم بالعبادة وتوحيد الله ﷻ فقال: { } [سورة الأعراف:59]، ثم جاء الفرق بين القصتين، ففي خطاب نوح عليه السلام قال: {□ □ □ يم يى □} قوم نوح أهلكوا جميعاً بالطوفان، وهو أول عذاب حدث فجاء منبهاً لهم من ذلك اليوم، أما في حوار هود قال: {□ □} القصة معطوفة على قصة نوح Σ فهود عليه السلام يوبخهم على عدم اتعاظهم من عذاب قوم نوح منكراً عليهم ذلك.

في قصة نوح جاء الجواب من الملأ جميعاً واتهموه بالضلال، بينما في قصة هود جاء الجواب من بعض الملأ، وهم الذين كفروا، واتهموه بالسفاهة، ومجيئ الرد من قوم نوح من الملأ جميعاً؛ لأنهم لم يؤمن منهم أحد أما قوم هود، فقد آمن بعضهم، واتهامهم لنوح Σ بالضلال؛ لأنه كان ينذرهم بعذاب يوم عظيم، ويصنع الفلك في صحراء، فلم تصدق عقولهم أن يكون هذا عذابهم أما قوم هود Σ فاتهموه بالسفاهة؛ لأنه كان يدعوهم إلى ترك عبادة الأوثان، فيرون أنه جاهل وبعيد عن الحق الصواب حتى حل بهم العذاب، كما عذب قوم نوح عليه السلام قبله، فأرسل عليهم الله تعالى الريح.

أيضاً في حوار نوح عليه السلام قال: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □} [سورة الأعراف:62]، جاءت مؤكدة بالجملة الفعلية دالة على تجدد الدعوة وإصراره عليه السلام بدعوتهم على ما يلقاه من التصدي والتكذيب، أما في حوار هو عليه السلام د فقد جاءت: {لخ لم لى لي □ □ □ □} [سورة الأعراف:68]، فجاءت بالجملة الاسمية، وأنهم لا يريد منهم أجراً، وإنما هي دعوة إلى دين الله ﷻ لا يرجوا من خلفها شيئاً.

الموضع الثاني في سورة الأحقاف قال تعالى:

{لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □

□ □ □ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ّٰ □ □ □ □ يم يى □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ تي تى تن □ □ تر بي بى بن □ □ بر □ □ □
□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □
□ □ ني نى □ ير □ □ ين □□ □ □ □ □□} [سورة الأحقاف:21-25].

في هذه الآيات ذكر لفظ القوم، فناسبت مكانها؛ لأنها أتت في سياق ذكر الدعوة والدعوة لابد أن تكون للقوم جميعاً فهود عليه السلام أرسل لقومه جميعاً، ولم يرسل لملأ منهم واقتضى الجزاء أن يكون للقوم المجرمين من القوم والملأ الموصوفين بالمجرمين، فاستخدم لفظ القوم هنا؛ لأنها تدل على العموم، وتشمل الملأ، وغير الملأ ممن وصفهم الله تعالى بالمجرمين.

"{لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □}.

{□}: جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء، من احقوقف الشيء إذا اعوج، وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن، وقيل: بين عمان ومهرة، و{□} جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار {□ □ نم نى □} من قبله {نى □}، ومن بعده. وقرئ: {من بين يديه ومن بعده}، والمعنى: أنّ هودا عليه السلام قد أنذرهم، فقال لهم: لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم العذاب، وأعلمهم أنّ الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره، وعن ابن عباس -رضي الله عنه-: يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه، ومعنى {نى □} على هذا التفسير، ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت، {□ □} بقوله: {□ □ □}؛ ولك أن تجعل قوله تعالى: {□ □ □ □ □ نم نى □} اعتراضا بين {□ □}، وبين {□ □}، ويكون المعنى: واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك. فاذكرهم"[1].

بعد ذلك استخدم أسلوب القصر في قوله: {□ بر □ □ بن}، فقصر العلم على الله تعالى ، وقصر على نفسه تبليغ الرسالة.

---

(1) الكشاف للزمخشري (4/ 306).

الموضع الثالث جاء في سورة الحاقة قال تعالى:

{ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ} [سورة الحاقة:6-8].

في هذه الآيات جاء لفظ القوم، وقد صادفت موقعها، وناسبت مكانها؛ لأن الهلاك عم القوم جميعاً؛ لأنهم كانوا مكذبين وعارضوا دعوة نبي الله هود Σ.

جمال التصوير البياني والتعبير القرآني في هذه الآيات، وفي سورة الحاقة عموماً حمل تعظيماً وتهويلاً للعذاب بقوة الألفاظ التي تركبت منها الآيات جعلت من القصة، وكأنها مشهد حسي مشاهد أمامهم؛ كي يحقق بها التأثير ولفت الانتباه، ويجعل النفس البشرية تخاف أن يحل بها ما حل بالأمم السابقة، وفيها تشبيه لهم فالمشبه هم القوم والمشبه به هو اعجاز النخل الخاوية ووجه الشبه في ذلك النهاية التي حدثت لهم جراء العذاب "{ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ} أَيْ كَأَنَّهُمْ أُصُولُ نَخْلٍ خَالِيَةِ الْأَجْوَافِ لَا شَيْءَ فِيهَا، وَالنَّخْلُ يُؤَنَّثُ وَيُذَكَّرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: {ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ} [سورة القمر:20]، وَقُرِئَ: (أَعْجَازُ نَخِيلٍ)، ثُمَّ يُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ شُبِّهُوا بِالنَّخِيلِ الَّتِي قُلِعَتْ مِنْ أَصْلِهَا، وَهُوَ إِخْبَارٌ عَنْ عَظِيمِ خَلْقِهِمْ وَأَجْسَامِهِمْ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ الْأُصُولَ دُونَ الْجُذُوعِ، أَيْ أَنَّ الرِّيحَ قَدْ قَطَّعَتْهُمْ حَتَّى صَارُوا قِطَعًا ضِخَامًا كَأُصُولِ النَّخْلِ، وَأَمَّا وَصْفُ النَّخْلِ بِالْخَوَاءِ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ وَصْفًا لِلْقَوْمِ، فَإِنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَدْخُلُ أَجْوَافَهُمْ فَتَصْرَعُهُمْ كَالنَّخْلِ الْخَاوِيَةِ الْجَوْفِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْخَالِيَةُ بِمَعْنَى الْبَالِيَةِ لِأَنَّهَا إِذَا بَلِيَتْ خَلَتْ أَجْوَافُهَا، فَشُبِّهُوا بَعْدَ أَنْ أهلكوا بالنخيل البالية "[1]

وقد وصف الله الريح بأنها (صرصر) أي "مزعجة مؤلمة ببردها يحكي بمقطعية صوت تلك الريح على أن تكرار المقطع يشعر بأن الصوت لم يكن على امتداد واحد، وإنما هي ضربات متتالية موجعة"[2]، " فهو ينظر من جهة استعارة العتو للشدة والأولى أن ننظر من جهة أخرى هي تشبيه الريح بإنسان جاوز الحد في الطغيان حذف وأثبت لازمه للمشبه، وفيه تصوير الريح قد جاوزت الحد في عصفها وقهرها حتى لم يفلت منها أحد مهما كانت قوته وحيلته؛ لأنها تنتزعه انتزاعاً شديداً؛ وذلك يبرز الريح ويعطيها الحياة والقوة

---

(1) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (30 / 622)

(2) – ينظر المرجع السابق الحوار في القران الكريم (325–329)

والتصرف "[1].

[1] – ينظر المرجع السابق الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (325)

القوم والملأ في حوار صالح عليه السلام مع قومه

إذا تتبعنا حوار صالح عليه السلام مع قومه وجدناه تكرر في أربع سور ونظراً للتشابه الواضح في السياقات رأيت أن أدرس هذه الآيات مجموعة تفادياً من التكرار، وجاء الحوار في سورة المؤمنون، وهو حوار قصير رأيت أن تكون معالجته على حده نظراً لاختلاف الأساليب وتقارب التكرار.

وحوار صالح عليه السلام ورد في القران في سورة الأعراف، وسورة هود، وسورة النمل، وسورة المؤمنون، وهي كالتالي:

أولاً: في سورة الأعراف قال تعالى:

{تم ته ثم جم حم خم سم
لج لح لخ لم لى لي نم نى
بخ بم به تج تح تخ} [سورة الأعراف:73-79].

وفي سورة هود قوله تعالى:

{لم له مج مح مخ نج نح نخ نم نه هم يج يح يخ يم لخ
لم لى لي نم نى
بم به تج تح تخ} [سورة هود:61-64].

وفي سورة النمل قال تعالى:

{لخ لم لى لي نم نى
بم به تج تح تخ} [سورة النمل:45-46].

هذه الحوارات القرآنية البديعة أتى استكمالاً للتسلسل القصصي في السور بعد حوار نوح عليه السلام مع قومه، وحوار هود عليه السلام مع قومه، وتصور لنا هذه الحوارات ما لاقاه الرسل Θ من التكذيب، كما أنها كشفت لنا جمال التعبير القرآني في سياق كل قصة، وفي هذه الآيات المباركة أتى حوار صالح عليه السلام بعد حوار هود عليه السلام ، وافتتح الحوار، كما افتتح في حوار هود Σ، فكلا الحوارين عطفًا على حوار نوح عليه السلام مع قومه فقال عليه السلام: {

قومه أرسلنا صالحاً إلى قومه، وهم قوم ثمود.

وفي هذا الحوار ذكر لفظي القوم والملأ وناسب كل لفظ موضعه فموضع القوم في الآية لا يناسب لفظ الملأ؛ لأن الدعوة عامة لعبادة الله وحده، فلابد أن توجه للقوم جميعاً أما في موضع لفظ الملأ ، فلا يناسب ذكر لفظ القوم؛ لأن الاعتراض على دعوته أتى من بعض القوم، وهم الملأ؛ ولأنها بداية دعوته Σ، ولا يعترض دعوة الأنبياء والرسل إلا الوجهاء وأصحاب النفوذ، لأن دعوة الرسل تتقاطع مع مصالحهم ونفوذهم في قومهم فناسب اختيار كل لفظ موضعه، وفي هذه الآيات "يعرض الرسول Σ دعوته وآية ربه بشكل أخاذ يهز العقول، فالمجيء هنا قد أسند في هذه الشواهد البينة، وهي في الحقيقة لا تجيء، وإنما يأتي بها صالح Σ، ففي هذا الإسناد تجوز لتصوير البينة؛ لأنها من البيان والظهور، وكأنها آتية تعلن عن نفسها، وفي ذلك إشارة إلى تجرد الرسول من المصلحة الشخصية؛ لأنه لم يأت من غير بينة، ولم يأت ببينة من عنده، بل بحجة (من ربكم) شاهدة على صدقه، ويشير التجوز الإسنادي أيضاً إلى أنها حجة ملزمة لا عذر لكم في إنكارها؛ لأنها تبين عن نفسها بقوتها وظهورها، ولعل هذا وراء التعبير بلفظ (بينة) دون آية أو حجة "[1] يقول الألوسي: "وإسناد الإتيان إليه يعني القران المعبر عنه بالبينة – مع جعلهم إياه مأتياً به للتنبيه على أصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة "[2].

وقد اتسم الحوار بخصائص بلاغية منها:

1- دلالة النداء: في قوله تعالى: {□ □ □ □} استخدم ياء النداء وهي أكثر تنبيهاً وأكثر لفتاً، وتستخدم لنداء القريب والبعيد سواء بعد بعضهم مكاناً عنه أو بعدهم عن الدين والحق وانغماسهم في الكفر والبعد عن الله، وقد تكرر هذا النداء في السورتين، ففي سورة الأعراف ورد في قوله تعالى: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □} [سورة الأعراف:62]، وفي سورة هود كرر النداء في موضعين آخرين، فقال: {ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ □ □ □ □ □ □}، وقال أيضاً: {ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮫ □ □} [سورة هود:64]، وقد جاءت هذه التكرارات استمالة واستعطافاً للقوم؛ لفتح مغاليق قلوبهم، وفي نسبة القوم إليه أحرى بقبول دعوته، كما أن الإلحاح بالتكرار يلين قلوبهم ويستنهض هممهم لقبول رسالته Σ.

3- الابتداء: المتأمل في سياق سورتي الأعراف وهود يجد أن صالحاً

---

[1] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (274، 275).

[2] وح المعاني للألوسي (16 / 258).

Σ، وظف أسلوب اللفت والتنبيه لقومه، وهو ابتداءً ناجح يضمن سلامة ميلهم وخضوعهم، وأسلوب الابتداء من الأساليب البديعية التي تضمن التأنق في الكلام، وذكر البلاغيون أنّ الأديب ينبغي أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى يكون أعذب لفظًا، وأحسن سبكًا، وأصحّ معنى، وهذه المواضع هي: الابتداء، والتخلص، والانتهاء، والابتداء أن يكون مطلع الكلام شعرًا أو نثرًا، أنيقًا بديعًا؛ لأنّه أول ما يقرع السمع، فيقبل السامع على الكلام ويعيه[1].

4- بلاغة الإضافة: إضافةُ النّاقة والأرض إلى الله في قوله تعالى: {ي □ □ □}، وقوله تعالى: {□ ّ □} قال الرازي: "فيه وجوه، قيل: إضافتها إلى الله تشريفًا وتخصيصًا كقوله: بيت الله، وقيل: لأنه خلقها بلا واسطة، وقيل: لأنها لا مالك لها غير الله، وقيل: لأنها حجة الله على القوم، ثم قال: فذروها تأكل في أرض الله أيَّ الأرض؟ أرض الله، والناقة ناقة الله، فذروها تأكل في أرض ربها، فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من إنباتكم، ولا تمسوها بسوء ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوا منها شيئا من أنواع الأذى "[2].

5 - دلالة الأمر: جاءت الأوامر في سياق السورتين في عدة مواضع:

الموضع الأول: في قوله تعالى: {□ □} جاء الأمر حقيقياً، فلا يوجد لهم خيار سوى الطاعة، فلو جاء بأسلوب غير أسلوب الأمر؛ لكانت الدعوة محل تخيير لهم بقبول أو رفض، كما أن هذا الأسلوب تكرر في سورة هود ويحمل نفس السياق والمعنى.

الموضع الثاني: قوله تعالى في سورة الأعراف: {لخ لم لى لي □ □ □} [سورة الأعراف:74]، وقوله تعالى: {□ □ □ □ □ □ يم ي □}، وقد جاء أسلوب الأمر للنصح والإرشاد، ولا يتناقض النصح والإرشاد مع الوجوب، فالمنصوح يجب عليه أن ينهض بتلك الأوامر، وأن يمتثلها، إذ الواجب ينصح به ويرشد إليه "[3].

وفي قوله تعالى في سورة هود: {مخ مم نج نح} أسلوب الأمر هنا جاء بدلالة النصح والتوجيه الذي يقتضي الوجوب، فجاء يأمرهم بالاستغفار والتوبة حتى لا يصيبهم ما أصاب الأمم التي سبقتهم حين عصوا رسلهم.

الموضع الثالث: في قوله تعالى: {□ □ □ □ □ □ □ □

---

[1] يوسف پورنظامي ايوب. كنكاشي بوم-جامعه شناختي در قصه قرآني صالح وناقه الله.

[2] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب هو كتاب تفسير للقرآن، فخر الدين الرازي، تحقيق: سيد عمران (14 / 306).

[3] علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني، بسيوني، ص 366 .

□} [سورة الأعراف:77].

جاء أسلوب الأمر على سبيل التعجيز والتهكم فهم أقدموا على عقر الناقة حين قال لهم صالح عليه السلام: {□ □ □ □ بر □} فأقدموا على الفعل ظناً منهم أنهم في مأمن من العذاب.

6- دلالة التنكير: وقد جاء على عدة مواضع:

الموضع الأول: في قوله تعالى: {□ □ ّ ُ َ ٍ ٍ}، وتكررت في مقاطع السورتين، فجاء تنكير كلمة (إله) في سياق النفي للدلالة على التعظيم والتفخيم، فجاء النفي بشكل قاطع بأنه لا إله إلا الله ولا شريك له في الألوهية.

الموضع الثاني: في قوله تعالى: في سورة الأعراف: {□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □} [سورة الأعراف:73]، وفي قوله تعالى في سورة هود: {□ □ □} [سورة هود:63]، فجاء تنكير كلمة (بينة، آية، رحمة) في هذا الموضع إشارة إلى أنها من نوع خاص متميز عن سائر البينات يعرفه المخاطب، وصالح عليه السلام: "لم يأت من غير بينة، ولم يأت ببينة من عنده بل بحجة {□ □} شاهدة على صدقه، ويشير التجوز الإسنادي أيضاً إلى أنها حجة ملزمة لا عذر لكم في إنكارها؛ لأنها تبين عن نفسها بقوتها وظهورها، ولعل هذا وراء التعبير بلفظ (بينة) دون آية أو حجة "[1] فأفاد التنكير هنا التعظيم.

الموضع الثالث: قوله تعالى في سورة الأعراف: {□ □ □}، وقوله تعالى في سورة هود: {□ بر □} جاء التنكير في كلمة سوءً؛ لإفادة التقليل " فنهاهم عن مسّها بشيء من الأذى، وهذا تنبيه بالأدنى على الأعلى إذا كان قد نهاهم عن مسّها بسوء إكراماً لآية الله فنهيه عن نحرها وعقرها ومنعها عن الماء والكلأ أولى وأحرى والمسّ والأخذ هنا استعارة، وهذا وعيد شديد لمن مسّها بسوء والعذاب الأليم هو ما حلّ بهم إذ عقروها، وما أعد لهم في الآخرة"[2].

7- دلالة النهي: وقد أتى في موضعين:

الموضع الأول: في قوله تعالى في سورة الأعراف: {□ □ □ □ لج لح} [سورة الأعراف:73]، وفي سورة هود: {□ □ □ □ بر □}، وقد

---

[1] الحوار في القرآن الكريم: خصائصه التركيبية وصوره البيانية، محمد إبراهيم عبدالعزيز شادي (274، 275)

[2] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، المحقق: صدقي محمد جميل، (ج 4 ص 331، 332).

جاء أسلوب النهي في الآيتين على سبيل النصح والإرشاد، فالمراد هو تنبيههم ونصحهم من التعرض للناقة حتى ولو بأقل أذى هو المس.

الموضع الثاني: قوله تعالى: {□ □ يم يى □} جاء أسلوب النهي في هذه الآية على سبيل النصح والإرشاد، ونجد الدقة في اختيار لفظة (تعثوا) إذ معناها في الأصل لما اضطرب من الأمور يقال: "العثا للشعر الجافي المشعث والعثا لما تشعث من النبات...، وقالوا: عثا المشيب في الرأس أي أفسد"[1]، فالدقة هنا تتضح في الكلمة، فهي أبلغ في التعبير عن الفساد، {□ □ يم يى □} أي لا يكثر فسادكم ولا يتشعث في البلاد ولا يتفرق بين العباد.

8- دلالة التأكيد: وقد أتى في موضعين:

الموضع الأول: في قوله تعالى في سورة الأعراف: {تر □ □ تن تى} [سورة الأعراف:75]، وقوله تعالى في الآية التي تليها: {□ □ □ □ □} [سورة الأعراف:76]، جاء التأكيد في الآيتين دلالة على ثبات من آمن مع صالح عليه على الإيمان في الآية الأولى، وعلى توغل الكافرين بكفرهم في الآية الثانية.

الموضع الثاني: في قوله تعالى في سورة هود: {مخ مم نج نح نخ نم نه هم □} [سورة هود:61]، جاء التأكيد بإن: "لكمال الربط بين الجملتين، فقد ربطت الجملة بما قبلها وأتلفت واتحدت بها، حتى كأن الكلاميين قد أفرغا إفراغاً واحداً، وكأن أحدهما سبك للآخر"[2].

الموضع الرابع: في قوله تعالى في سورة هود: {□ □ □ □ □ □} [سورة هود:62] جاء التأكيد مبالغة في الشك "وجملة وإننا لفي شك معطوفة على جملة يا صالح قد كنت فينا مرجوًا، فبعد أن ذكروا بأسهم من صلاح حاله ذكروا أنهم يشكون في صدق أنه مرسل إليهم، وزادوا ذلك تأكيداً بحرف التأكيد، ومن محاسن النكت هنا إثبات نون (إن) مع نون ضمير الجمع؛ لأن ذلك زيادة إظهار لحرف التوكيد والإظهار ضرب من التحقيق"[3].

التقديم والتأخير: وقد جاء في عدة مواضع:

الموضع الأول: قوله تعالى: {تم ته ثم □} [سورة الأعراف:73] جاء الأسلوب هنا بتقديم الجار والمجرور على المنصوب؛ لإفادة معنى القصر والاختصاص.

الموضع الثاني: قوله تعالى: {□ □ □ سم □} قدم قومه؛ لأنهم

---

(1) معجم ألفاظ القرآن الكريم (الجزء الأول) من الهمزة إلى السين، مجمع اللغة العربية (2 / 12).

(2) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، (ص 316).

(3) التحرير والتنوير (12 / 110).

المقصودون بالحديث، وفيها تشويق للمبتدأ المؤخر، فأصلها في غير القران ما إله لكم غيره، "وتقديم المسند هنا يفيد التقوية والتأكيد خاصة عندما يكون المسند جاراً ومجروراً، والمسند هنا هو الجار والمجرور (لكم) على المسند إليه (من إله) و(غيره) صفة المسند إليه، وهذا التقديم يؤكد نفي الشركاء ويقويه فضلاً عن التوكيد الحاصل من القصر بالنفي وغير؛ لأن المعنى مالكم من إله إلا إياه، ومقام إنكار القوم هذه الحقيقة وغرابتها عنهم أقتضى تأكيداً مضاعفاً في جملة موجزة بالنفي والاستثناء"[1].

الموضع الثالث: قوله تعالى: {□ □ □ □ □} جاء التقديم؛ لإفادة الاختصاص فآية الناقة خاصة لهم لا لغيرهم، قال ابن حيان: "ولأنها حجة على القوم ولما أودع فيها من الآيات ذكرها في قصة قوم صالح، ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الإيمان، وهم ثمود؛ لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها كأنه قال لكم خصوصًا"[2].

الموضع الرابع: قوله تعالى: {تر □ □ تن} [سورة الأعراف:75]، وقوله تعالى في الآية التي تليها: {□ □ □ □ □} [سورة الأعراف:76]، وقد جاء التقديم في الآيتين؛ لتقوية الحكم وتقريره، فأكد قوة إيمان من آمن وكفر من كفر.

الوجه الخامس: قوله تعالى في سورة هود: {يج يح يخ يم □ □ □} [سورة هود:62]، وقد جاء التقديم هنا مفيداً الاختصاص.

الوجه السادس: قوله تعالى في سورة هود: {لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □} [سورة هود:63]، وقد جاء التقديم هنا، لتقوية الفعل واختصاص الله تعالى بالرحمة.

9- دلالة الاستفهام: وقد أتى في عدة مواضع:

الموضع الأول: قوله تعالى في سورة هود: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □} [سورة هود:62] جاء الاستفهام بالهمزة في مقام الإنكار التوبيخي.

الموضع الثاني: قوله تعالى في سورة هود: {لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ نم ني □ □} جاء الاستفهام بالهمزة في مقام الإنكار بالنفي، " أي لاَ نُجْبِرُكُمْ بِالإِكْرَاهِ على اتِّبَاعِ مَا جئتُكُمْ به، فاتّباع الدين

---

(1) معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي(1/ 382)، والحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية، محمد إبراهيم شادي (27، 28).

(2) – البحر المحيط في التفسير– مرجع سابق (5 / 92)

لا يكن إلاَّ بإرادةٍ اختياريّة، إذْ لا إكْرَاهَ في الدين"[1].
ودلالة الاستفهام في قوله تعالى في سورة النمل: {ئى □ □ □ □ □ □} [سورة النمل:46]، فقد جاء للتوبيخ.
10- دلالة القصر: جاء في قوله تعالى في سورة هود: {لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح} [سورة هود:61].
11- "قصر صفة الألوهية على الله قصراً حقيقياً "[2]، وجاء القصر بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي من " خلال الاستئناف المبين أو المعلل يلفتهم إلى أن ما هم فيه من نعم، كابتداء الخلق في الأرض والعيش والتمكن فيها بفضله وقدرته وحده دون أحد غيره؛ وذلك بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي (هو أنشأكم)" [3]، "وجملة (هو أنشأكم من الأرض) في موضع التعليل للأمر بعبادة الله ونفي ألوهية غيره، وعدل الأسلوب، فجعل خبري الضمير (هو)، فعلين دون أن يقول: هو منشئكم ومستعمركم، لإفادة القصر، من تفنن الأسلوب أن جعلت هذه النعم علة لأمرهم بعبادة الله وحده بطريقة جملة التعليل، كما جعلت علة الأمر بالاستغفار والتوبة بطريقة التفريع"[4].
12- الاستعارة: جاءت في قوله تعالى في سورة الأعراف: {□ □ □ لج لح} [سورة الأعراف:73]، وفي سورة هود: {□ □ □ □ □ بر □}، فقد عبر في الآيتين عن نزول العذاب بالأخذ، وقد دلت الاستعارة على شدة العذاب والهلاك، "وهو استعارة، وقد نهاهم عن مسها بشيء من الأذى، وهذا تنبيه بالأدنى على الأعلى"[5].
13- العدول من المثنى إلى الجمع في قوله تعالى: {□ □ □ □ □ نم} [سورة النمل:45]، وضمير الجمع في يختصمون مع أنهم فريقان مراعاة لمجموع كل فريق، قال أبو السعود: " {□ □ □ □ □}، ففاجئوا التفرق والاختصامَ فآمنَ فريقٌ وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين"[6].
رابعاً: في سورة المؤمنون قوله تعالى: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ئى ئي □ ير □} [سورة المؤمنون:33].

---

[1] البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (1 / 273)
[2] من هدي القرآ، نآية الله السيد المدرسي، تفسير بلاغي لسورة المؤمنون (52)
[3] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (29)
[4] التحرير والتنوير: (12/ 107-108)، أسلوبية الحوار في القران الكريم، رسول حمود الدوري جائزة دبي الدولية للقران الكريم (42).
[5] البحر المحيط (3 / 328).
[6] تفسير أبو السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (6 /289).

وفي هذه الآية جاء سياق الآية بلفظة الملأ دون القوم لمناسبتها للسياق، فإن الخطاب من الملأ الذين كفروا للقوم محاولة لردهم عن الإيمان بنبي الله صالح Σ، فمن غير المناسب أن يؤتى بلفظة القوم في هذا السياق؛ لأن سياق الحديث أتى من بعض القوم، وهم الملأ.

" في هذه الآية نجد أنه قدم الجار والمجرور {□ □} على صفة الملأ، وهي: {□ □}؛ وذلك لأنه لو أخر، فقيل: {□ □ □ □ □ □ □ □ □}؛ لتوهم أنه من صلة الدنيا، وأن المعنى وأترفناهم في الحياة الدنيا من قومه أي: القريبة منهم؛ وبذا يكون القائلون ليسوا من قومه، فدفعاً لهذا التوهم قدم الجار والمجرور، وقد نشأ التوهم من طول الصفة بالصلة وما عطف عليها كما هو واضح "[1].

وفي قوله: {□ □ □ □ □} "مبالغة في توهين أمر الرسول ﷺ وتهوينه؛ وذلك بقصره على صفة البشرية، والرسول في زعمهم لا يكون بشراً "[2].

---

[1] علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني – د بسيوني (244، 243)

[2] من هدي القرآن، آية الله السيد المدرسي. ص60.

القوم والملأ في حوار شعيب عليه السلام مع قومه

هذا الحوار جاء في ثلاث سور، وستكون معالجتنا لهذا المبحث على غرار ما سبقه من مباحث في معالجة السياقات دفعة واحدة نظراً للتقارب الشديد بين أساليبها.

وحوار شعيب عليه السلام ، ورد في القران الكريم في سورة الأعراف وسورة هود وسورة العنكبوت، وهي كالتالي:

1- قال تعالى في سورة الأعراف:

{ ٱ □ □□ □ □ □ بر □ □ بن بى بي تر □ □ تن تى تي
□ □
□ □ □ □ □ □ □ نى ني □ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □
□ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم □ جم □ حم □ خم □
□ سم □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ لخ لم لى لي □ □
□ □ □ □ ٌ ٍ ّ ٌ ٍ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □ يم يى
□ □ □ □ ٱ □ □ □ □ □ □ بر □ □ بن بى بي
تر □ □تن تى تي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نى ني □ ير □ □ ين
□ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم □ جم
□ حم} [سورة الأعراف:85-92].

2- في سورة هود قوله تعالى:

{يم يى □ □ □□ □ ٱ □ □ □□ □ □ بر □□
بن بى بي تر □ □ تن تى تي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □
□ □ ين □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم
ته ثم □ جم □ حم □ خم □ □ سم □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □
لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٌ ٍ ّ ٌ ٍ
□ نم نى □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ يم يى
ٱ □ □ □ □ □ □ بر □ □ بن بى بي تر □ □تن تى تي □
□ □
□ □ □ □ □ □ □ نى ني □ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □
بج بح بخ بم} [سورة هود:84-93].

3- في سورة العنكبوت قوله تعالى:

{□ ين □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ
تم ته ثم □ جم □ حم □} [سورة العنكبوت:36-37].

تستمر الحوارات القرآنية الرائعة في التدفق معنا في هذه السور في سرد روائي مذهل يكشف لنا جمال التعبير القرآني وما تحمله كل قصة من دلالات وهياكل المعنى الخاصة بكل قصة. نبي وآخر، لكنه يأتي لأن الرسل دعواتهم واحدة.

جاءت كلمة "القوم" و"الملأ" في هذه الآيات الكريمة، وكانت كل كلمة تتناسب مع مكانتها ومكانها وسياقها، ولما كانت الدعوة من نبي الله شعيب Σ كان الخطاب مطلوباً لجميع الناس؛ لأن الدعوة كانت عامة على الناس جميعاً، وعندما جاء الرد جاء من الجمهور المتغطرس في سياق الاستجابة الأولى في سورة الأعراف قوله تعالى:{ لم لى لي □ □ □}، وجاء من الكافرين في سياق الرد الثاني في سورة الأعراف عند قوله تعالى: { □ □ □ □ □}، وقد ناسبتا موضعهما؛ لأن الملأ هم من عارض دعوته، فلا يستساغ ذكر القوم في موضع الملأ، ولا ذكر الملأ في موضع القوم، وهنا تكمن الدقة التي لا توجد إلا في كتاب الله ﷻ.

وقد اتسمت هذه الحوارات بخصائص بلاغية منها:

1- دلالة النداء: في قوله تعالى: {□ □ □ بر □ □ بن بى بي}، خرج النداء هنا للفت والتنبيه، واستخدم ياء النداء، وهي أكثر تنبيهاً وأكثر لفتاً، وهي تستخدم لنداء القريب والبعيد سواءً بعد بعضهم مكاناً عنه أو بعدهم عن الدين والحق وانغماسهم في الكفر والبعد عن الله، وقد تكرر هذا النداء في مقاطع السور الثلاث، إلا أنه في سورة هود كرر النداء في مواضع كثيرة، وفي كل موضع تغير الغرض البلاغي عن الآخر، فقال: {□ □ □ □}، وكأنه يحذرهم من عاقبة الغش في المكيال، وقال: {حم □ خم □ □ سم □ □}، فهو هنا يقرر لهم حقيقة عقلية، وكأنه يحاججهم بالدليل؛ ليقنعهم به، وقال: {لخ لم لى لي} وهنا تحذير من الجور والظلم ونصيحة بأخذ العدل، وكرر أيضاً {□ □ □ □ □ □ □}، وكأنه يتعجب ويسخر من منطقهم ويحثهم على إعمال العقل والتفكر في عاقبة الأمر، ثم عطف بعد ذلك بقوله: {□ □ □ □}، وهنا يتحول للنصح والإرشاد، وكأنه كذلك يتبرأ من سوء فعلهم، وينذرهم بأنه لن يستطيع أن ينفعهم إذا استمروا على حالهم، وقد أتت هذه التكرارات استمالة واستعطافاً للقوم لفتح مغاليق قلوبهم، وفي نسبة القوم إليه أحرى بقبول دعوته، كما أن الإلحاح بالتكرار يلين قلوبهم ويستنهض هممهم لقبول رسالته عليه السلام.

2- دلالة الأمر: في الحوار سلسلة من الأوامر التي تقتضيها الدعوة، فجاءت على عدة أوجه، وخرجت عن الأمر الحقيقي إلى معان بلاغية متعددة في عدة مواضع، وهي كالتالي:

الموضع الأول في قوله: {□ بر} جاء الأمر حقيقياً، فلا يوجد لهم خيار سوى ذلك، فلو جاء بأسلوب غير أسلوب الأمر لكانت الدعوة محل تخيير لهم بقبول أو رفض، كما أن هذا الأسلوب تكرر في مقاطع السور الثلاث،

ويحمل نفس دلالة السياق والمعنى.

الموضع الثاني في قوله: {□ □ □}في مقطع سورة الأعراف و{□ □} في مقطع سورة هود، وقد خرج الأمر هنا إلى معنى النصح والإرشاد وقوله: {□ □ □ □} بعد قوله: {□ □ بر □} [سورة هود:84] " إشارة إلى " أنه لا يكفيهم مجرد الكف من النقص والبخس، بل يجب عليهم إصلاح ما أفسدوه وجعلوه معياراً لظلمهم وقانوناً لعدوانهم.

الموضع الثالث في قوله تعالى: {□ □ □ □ □} [سورة الأعراف:89]، وقد وردت في مقطع سورة الأعراف فقط، وقد أتت في مقام الدعاء والطلب بأن يحكم الله بينه وبين قومه الكافرين قال أبو السعود: " وقوله تعالى: {□ □ □ □ □} إعراضٌ عن مقاولتهم إثرَ ما ظهر له O أنهم من العتو والعناد بحيث لا يُتصور منهم الإيمانُ أصلاً وإقبالٌ على الله تعالى بالدعاء لفصلِ ما بينه وبينهم بما يليق بحال كلَ من الفريقين أي احكم بيننا بالحق والفَتاحَةُ الحكومةُ، أو اظْهرْ أمرنا حتى ينكشِفَ ما بيننا وبينهم ويتميز المُحقّ من المبطِل من فتَحَ المُشكلَ إذا بيّنه {□ □ □ □} تذييلٌ مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين"[1].

الموضع الرابع: في قوله تعالى في سورة الأعراف: {□ بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم} [سورة الأعراف:86] جاء أسلوب الأمر في هذه الآية تصويراً للحدث وبيان كيفية وقوعه، فصور لهم كيف كانوا قلة فكثرهم كما صور بيان حال المفسدين مبيناً قدرة الله تعالى البالغة على كل شيء[2].

الموضع الخامس: في قوله تعالى في سورة الأعراف، {□ □ □ □ □ □ □ □ □}، ودلالة الأمر في هذا السياق يوحي بقوة التهديد والوعيد لهم حتى يحكم الله بينهم، وقد "استعمل الأمر في التحدي، فلجأ إلى شيء من التخويف، فالسياق والقرائن تبين المقصود من الأمر، وإلا فإن مادة الفعل أو معناه الحقيقي لا يفيد التهديد وإنما أفاده أن أحد الفريقين لم يؤمنوا فيكون أمرهم بأن يصبروا على حكم الله بينهما معناه انتظار العقاب"[3].

الموضع السادس: في قوله تعالى في سورة هود: {□ بح بخ بم به} [سورة هود:3]، وأسلوب الأمر هنا جاء بدلالة النصح والتوجيه الذي يقتضي الوجوب، فجاء يأمرهم بالاستغفار والتوبة حتى لا يصيبهم ما أصاب الأمم التي سبقتهم حين عصوا رسلهم.

الموضع السابع: في قوله تعال: {□ □ □}، وقد وردت في مقطع

---

[1] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (3 /251).

[2] علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح (368).

[3] الحوار في القرآن الكريم، محمد إبراهيم عبدالعزيز شادي (177)

سورة هود فقط، وقد جاء هذا الأسلوب بدلالة التهديد، فليس المراد هنا أنه يأمرهم بالبقاء علي ما هم عليه من صد وبعد عن الحق، وإنما أراد تهديدهم بالعذاب في حال بقائهم على الكفر، فالمراد ليس الامتثال للأمر، وإنما الزجر والتهديد بالعذاب.

الموضع الثامن: في قوله تعالى: {□ بج بح بخ} [سورة هود:93]، ورد هذا الوجه في مقطع سورة هود، وقد أتى الأمر هنا معطوفاً على الأمر السابق {□ □ □}؛ لأنه لا يزال في سياق الحديث عن تهديده لهم، فقد أتى أسلوب الأمر هنا في مقام رجحان طرف على آخر، فقد قال تعالى: {ير □ □ ين □ □ □ □ □□ □ بح بج بخ بم} [سورة هود:93]، وهذا يدل على أن شعيب ∑ قد علم من حالهم عدم قبولهم الدعوة واهتدائهم، وقد أتى الأسلوب أيضاً على سبيل احتقار فعلهم وازدرائهم.

الموضع التاسع: في قوله تعالى: {□ بح بج} [سورة العنكبوت:36]، ورد هذا الوجه في مقطع سورة العنكبوت، وقد أتى الأسلوب هنا على سبيل النصح والإرشاد الذي يقتضي الوجوب فوقع أمر الرجاء هنا بين أمر بالعبادة، ونهي عن الإفساد في الأرض، كما هو واضح في قوله تعالى:{□ □ □ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ} [سورة العنكبوت:36].

3- النهي: في مقاطع الآيات السابقة سلسلة من النواهي التي تقتضيها مقام الدعوة، فجاءت على مواضع عده:

الموضع الأول: قوله تعالى في سورة الأعراف: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □}، وفي سورة هود: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□} [سورة هود:85]، وفي سورة العنكبوت: {بخ بم به تج تح} [سورة العنكبوت:36]، جاء النهي في الآيات الكريمة على سبيل النصح والإرشاد الذي يقتضي الوجوب، وفي جملة النهي إغراء لهم في قوله: {□ □ □ □ □ □ □} [سورة الأعراف:85]، "ولقد قال قبل الشرط {□ □ □}، مسارعة إلى بيان أن هدفه نصحهم فهو يغريهم بالقبول أولاً، ثم تناول معنى في الشرط مرة ثانية تأكيداً للنصح وزيادة في الإغراء، لكنه وضع للمعنى في المرة الثانية شرط الإيمان والتصديق إشارة إلى التخلي عن تلك المعايب الخلقية الاجتماعية ينبغي أن تكون في إطار الإيمان بالله والتصديق برسالته"[1]، ونجد الدقة في اختيار لفظة (تعثوا) إذ أن معناها في الأصل لما اضطرب من الأمور يقال: " العثا للشعر الجافي المشعث، والعثا لما تشعث

---

(1) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (63).

من النبات...، وقالوا: عثا المشيب في الرأس أي أفسد"[1]، فالدقة هنا تتضح في الكلمة، فهي أبلغ في التعبير عن الفساد، {بخ بم به تج تح} أي لا يكثر فسادكم ولا يتشعث في البلاد ولا يتفرق بين العباد.

الموضع الثاني: قوله تعالى في سورة الأعراف: {□ □ ني □ ير □ □ ىٰ □ □ □ □ □ □} [سورة الأعراف:86]، جاء هذا النهي معطوفاً على النهي السابق على سبيل النصح والإرشاد.

الموضع الثالث: في قوله تعالى: {لخ لم لى لي}، جاء النهي في سياق التهديد والتوبيخ.

4- دلالة التنكير: في مقاطع الآيات السابقة تعددت أساليب التنكير، وقد جاءت في عدة مواضع:

الموضع الأول في قوله تعالى: {□ □ □ □ □}، وتكررت في مقاطع السور الثلاث، فجاء تنكير كلمة {□} في سياق النفي للدلالة على التعظيم والتفخيم، فجاء النفي بشكل قاطع بأنه لا إله إلا الله ولا شريك له في الألوهية.

الموضع الثاني: في قوله تعالى: {□ □ □ □ □} جاء التنكير في مقطع سورة الأعراف، وتكرر في مقطع سورة هود في سياق مختلف يأتي في الوجه الثالث، ودلالة التنكير في هذا الموضع إشارة إلى أنها من نوع خاص متميز عن سائر البينات يعرفه المخاطب، وشعيب Σ "لم يأت من غير بينة، ولم يأت ببينة من عنده، بل بحجة {□ □} شاهدة على صدقه، ويشير التجوز الإسنادي أيضاً إلى أنها حجة ملزمة لا عذر لكم في إنكارها؛ لأنها تبين عن نفسها بقوتها وظهورها، ولعل هذا وراء التعبير بلفظ (بينة) دون آية أو حجة"[2]، فأفاد التنكير هنا التعظيم.

الموضع الثالث: في قوله تعالى في مقطع سورة هود: {□ □ □ □ □ لخ لح}، وقد جاء التنكير هنا مفيداً التقليل أي أن بينة واحدة كافية؛ لأن تعبدوا الله وتوحدوه

5- دلالة الاستفهام: وقد أتى في مقاطع الآيات السابقة على عدة مواضع:

الموضع الأول: في قوله تعالى: {لخ□ □ □ □ □} جاء الاستفهام أقرب ما يكون من التعجب، فالمؤمنون مع شعيب يتعجبون من القوم الكافرين من عودتهم إلى الكفر بعد الإيمان أي " تُعِيدُونَنَا فِي مِلَّتِكُمْ فِي حَالِ كَرَاهَتِنَا أَوْ

---

[1] معجم ألفاظ القران الكريم (2 / 12).

[2] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (274، 275).

مَعَ كَوْنِنَا كَارِهِينَ"[1]، ويتضمن الاستفهام مع النفي أي لا يكون منا ذلك.

الموضع الثاني: في قوله تعالى: {بن □ □ □ □ □ □ □ بح}، في هذا الموضع استخدمت أداة الاستفهام الهمزة، وقد جاء أسلوب الاستفهام للدلالة على سخريتهم وإنكارهم الشديد لدعوة نبي الله شعيب عليه السلام "والاستفهام للتهكم والتندر، وهي روح تسري في سائر أجزاء عبارتهم من قولهم: {□ □}، وما فيه من تخييل أن الصلاة تتصرف في أمره وتوجهه وجهة معينة يرفضونها، وكأنها عندهم هذيان أو وسوسة شيطان مروراً بقولهم: {تهـ ثم □ جم}؛ ليدل على ثباتهم في الكفر ووقوفهم الصامد في الضلال والمكابرة"[2].

الموضع الثالث: في قوله تعالى: {حم □ خم □ □ □ سم □ □ □ □ □ □} جاء الاستفهام بالهمزة في مقام الإنكار بالنفي، " أي لاَ نَجْبرُكُمْ بِالإِكْرَاه على اتّباع مَا جِئتُكُمْ به، فَاتّباع الدين لا يكن إلاَّ بإرادةٍ اختياريّة، إذْ لا إكْرَاهَ في الدين " [3].

الموضع الرابع: في قوله تعالى: {□ □ □ □ □ □ □}، جاء الاستفهام بالهمزة في مقام الإنكار التوبيخي والتعجب؛ لينبه السامع، فيرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع.

6- التوكيد: جاءت أساليب التوكيد في مقاطع السور الثلاث في عدة مواضع:

الموضع الأول التوكيد باللام: قال تعالى: {لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □□ □ □ □ □يم} [سورة الأعراف:88]، وفي قوله تعالى: {□}، جاء التأكيد باللام الواقعة في جواب القسم مع نون التوكيد الثقيلة في {□}، وفي {□}، وقد جاءا بدلالة التهديد إما العودة إلى ملتهم، أو إخراجه من القرية قال ابن عاشور: "فَأَكَّدُوا هَذَا الْعَوْدَ بِالْقَسَمِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ لَا مَحِيدَ عَنْ حُصُولِهِ عِوَضًا عَنْ حُصُولِ الْإِخْرَاجِ لِأَنَّ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ مُرْضٍ لِلْمُقْسِمِينَ، وَأَيْضًا فَإِنَّ التَّوْكِيدَ مُؤْذِنٌ بِأَنَّهُمْ إِنْ أَبَوُا الْخُرُوجَ مِنَ الْقَرْيَةِ فَإِنَّهُمْ يُكْرَهُونَ عَلَى الْعَوْدِ إِلَى مِلَّةِ الْقَوْمِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ شُعَيْبٍ فِي جوابهم: أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ وَلَمَّا كَانَ الْمَقَامُ لِلتَّوَعُّدِ وَالتَّهْدِيدِ كَانَ ذِكْرُ الْإِخْرَاجِ مِنْ أَرْضِهِمْ أَهَمَّ، فَلِذَلِكَ قَدَّمُوا الْقَسَمَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَعْقَبُوهُ بِالْمَعْطُوفِ بِحَرْفِ (أَوْ)"[4].

الموضع الثاني التوكيد بإن: قال تعالى {بر □□ بن بى بي تر □

---

[1] البحر المحيط في التفسير (5 /112-113).

[2] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (142- 408).

[3] ينظر البلاغة العربية (1/ 273).

[4] التحرير والتنوير (9/ 6).

 تن تى تي } [سورة هود:84]، وقد جاء التأكيد من جهة المتكلم؛ لتقوية الجملة مقروناً بفعل (أراكم) للمبالغة وتكرار التأكيد للفت انتباههم.

الموضع الثالث التوكيد بإن واللام: في قوله تعالى: { ير بن بي}، جاء التأكيد مبالغة في الوصف والاتهام بالضعف، "وذكر فعل الرؤية هنا للتحقيق بحيث نزلوه منزلة من يظنون أنهم لا يرون ذلك بأبصارهم، فصرحوا بفعل الرؤية، وأكدوه بـ(إن) ولام الابتداء مبالغة في تنزيله منزلة من يجهل أنهم يعلمون ذلك فيه، أو من ينكر ذلك. "[1]

7- التقديم والتأخير: جاء التقديم والتأخير في موضعين:

الموضع الأول: قال تعالى في سورة الأعراف: { ير بن بي}، وقد تكرر في سورة هود أيضاً، وجاء الأسلوب هنا بتقديم الجار والمجرور على المنصوب الذي أفاد معنى القصر والاختصاص.

الموضع الثاني: قال تعالى: { بن بي} قدم قومه؛ لأنهم المقصودون بالحديث وفيها تشويق للمبتدأ المؤخر فأصلها في غير القران ما إله لكم غيره، "وتقديم المسند هنا يفيد التقوية والتأكيد خاصة عندما يكون المسند جاراً ومجروراً والمسند هنا هو الجار والمجرور (لكم) على المسند إليه (من إله).

و(غيره) صفة المسند إليه، وهذا التقديم يؤكد نفي الشركاء ويقويه فضلاً عن التوكيد الحاصل من القصر بالنفي وغير؛ لأن المعنى مالكم من إله إلا إياه، ومقام إنكار القوم هذه الحقيقة وغرابتها عنهم أقتضى تأكيداً مضاعفاً في جملة موجزة بالنفي والاستثناء "[2].

8- القصر: جاء القصر في مقاطع السور في هذا المبحث في موضعين:

الموضع الأول: قال تعالى في سورة الأعراف: { ير بن بي تر } [سورة الأعراف:89]، جاء أسلوب القصر في هذا الموضع بالنفي والاستثناء فعودتهم مقصورة على مشيئة الله تعالى لهم نافياً ما عدا ذلك.

الموضع الثاني: قوله تعالى على لسان شعيب Σ: { لخ لخ لخ لم مج مح مخ مم} [سورة هود:88]، جملة قصرية قصر فيها التوفيق على الله E، وهو من قصر الصفة على الموصوف بحيث لا تتعدى هذه الصفة إلى

---

[1] التحرير والتنوير (149/12).

[2] معاني القران للفراء (382/1)، والحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (27، 28).

موصوف آخر، وهو من القصر الحقيقي: " فالتوكل مقصور على الله ولا يتعداه لغيره، كما أن الإنابة مقصورة عليه دون غيره إشارة إلى استعصام شعيب Σ بالله وحده، وفيه تفويض الأمر إليه "[1].

9- الاستعارة: جاءت الاستعارة في قوله تعالى: {تهِ ثم جم}، والمراد " السفيه الغوي حيث شبه السفه والغي بالحلم والرشد، ثم استعير: الحلم والرشد للسفه والغي، واشتق منها، حليم ورشيد، بمعنى سفيه وغوي على سبيل الاستعارة والتبعية التهكمية "[2].

10- المجاز العقلي: وقد جاء في موضعين:

الموضع الأول: في قوله تعالى: { }، "في هذا الإسناد مجاز عقلي لتصوير البينة؛ لأنها من البيان والظهور وكأنها آتية تعلن عن نفسها، وفي ذلك إشارة إلى تجرد الرسول من المصلحة الشخصية؛ لأنه لم يأت من غير بينة، ولم يأت ببينة من عنده بل بحجة { } شاهدة على صدقه، ويشير التجوز الإسنادي أيضاً إلى أنها حجة ملزمة لا عذر لكم في إنكارها؛ لأنها تبين عن نفسها بقوتها وظهورها، ولعل هذا وراء التعبير بلفظ {} دون اية أو حجة "[3]، يقول الألوسي: "وإسناد الإتيان إليه يعني القرآن المعبر عنه بالبينة – مع جعلهم إياه مأتياً به للتنبيه على أصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة "[4].

الوجه الثاني: في قوله تعالى {تر تن تي}، "ومحيط وصف ليوم على وجه المجاز العقلي، أي محيط عذابه، والقرينة هي إضافة العذاب إليه"[5].

11- الحذف: وقد جاء في موضع واحد في قوله تعالى: {لم لى لي
 نم نى
بن بى بي تر تن تى تي }، وحذف القسم هنا " للتعجيل بالمراد بقصد التهديد، ثم حذف الجملة بعد همزة التقرير، فالتقدير: أتعيدوننا في ملتكم ولو كنا كارهين، وقد حذف ما حذف بعد الهمزة لدلالة ما قبله من كلام الخصم عليه، ومسارعة في المراد من إيقاع هؤلاء المستكبرين في الحرج؛ لأن

---

(1) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (97).
(2) علم البيان دراسة تحليلية لمسائل علم البيان تأليف د. بسيوني (183).
(3) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (274، 275).
(4) روح المعاني للألوسي (16/ 258).
(5) التحرير والتنوير (12 / 137).

المراد تقريرهم بأن ذلك العود في أية حالة حتى مع الكراهة ولو أقروا به لكان اعترافاً ضمنياً منهم بظلمهم وجورهم، فالحذف إذن لدلالة السياق عليه والتعجيل بإيقاع الخصم في الحرج، وكراهة جريان اللسان بلفظ العود لكراهة نفوسهم له"[1]

12- أسلوب التغليب: وقد جاء في الآيات في موضعين:

الموضع الأول: في قوله تعالى: {ين □ □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم □ جم} إسناد القول إلى جميع القوم مع أن القائلين قد يكونون أفراداً، فجاء إسناد القول بدلالة التغليب.

الموضع الثاني: في قوله تعالى: {ىٰ □ □ □} شعيب Σ لم يكن في ملتهم أصلاً، فجاء "بحكم التغليب؛ لأن شعيب Σ لم يكن في ملتهم أصلاً حتى يقال: أنه يعود فيها، وإنما غلب عليه الذين ءامنوا معه، فعد منهم، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: أو ليعودن "[2].

الفرق بين حوار شعيب عليه السلام في سورة الأعراف وسورة هود:

القصة إجمالا في سورة الأعراف وسورة هود فيها مواطن تشابه ومواطن اختلاف، وكل موطن في كل سورة ناسب سياقه الذي جاء فيه، ومن هذه المواطن ما يلي:

أولاً: في سورة الأعراف قال: {□ □ □} أما في الأعراف فيشيع فيها أمور الاعتقاد ومحاربة الفساد وموقف قومه من ذلك، فما قاله في الأعراف، ولم يذكره في هود: {□ □ تن تى تي}، وقوله تعالى: {□ □ ني □}، وقوله تعالى: {ير □ □ ىن □ □ □ □ □}، ولم يذكر ذلك في سورة هود، فناسب ذكر المصدر {□} في الأعراف، فذكر من صفات قوم شعيب السيئة أكثر وأشد مما ذكره في سورة هود "[3].

ثانياً: قال في الأعراف: {لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □□ □ □ □} "فتوعدوه بإخراجه من قريته مع من آمن معه إلا أن يعودوا في ملتهم وأقسموا على ذلك بقولهم: {□ □}، فجاء باللام الواقعة في جواب القسم مع نون التوكيد الثقيلة.

وأما في سورة هود، فقد قالوا: {□ □ بن بى}، فهم لم يتوعدوه بالرجم، وإنما قالوا: أن الذي يمنعهم من رجمه وجود رهطه، فإن {تر} حرف امتناع لوجود، فهم لا يرجمونه لوجود رهطه، وأما في الأعراف فلم يمنع

---

[1] الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (66، 65).

[2] علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل علم العاني (274)

[3] من أسرار البيان القرآني، د. فاضل السامرّائي (301).

الذين استكبروا من إخراجه وجود رهطه"[1].

ثالثاً: في سورة الأعراف قال: {□ □ □ □ □ □}، فوصف الملأ بالكفر بينما في سورة هود وصفهم بالظلم {حم □ خم □ □ □ سم □} [سورة هود:94]، والكفر أشد من الظلم، فناسب السياق في سورة الأعراف ذكر الكفر لعظم ما فعلوه مع نبي الله من الصد والاستكبار وناسب السياق في سورة هود ذكر الظلم، وهو أخف من الكفر.

رابعاً: في الأعراف قال: {نى ني □ ير □ □} [سورة الأعراف:78]، وفي سورة هود قال: {نم نى} "والرجفة أشد من الصيحة؛ لأن الرجفة هي الزلزلة، وهو المناسب لعظم سيئاتهم"[2].

خامساً: قال في الأعراف: {□ ير □ □}، وفي سورة هود: {□ □ ين □}، "فأفرد الرد في سورة الأعراف وجمعها في سورة هود؛ ذلك أن الصيحة يبلغ مداها أبعد من الرجفة، فجمع الدار، فقال ديار"[3].

---

(1) – مرجع سابق من أسرار البيان القراني (304)

(2) من أسرار البيان القرآني (305).

(3) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم (172/4)، ومن أسرار البيان القرآني (306).

القوم والملأ في حوار موسى عليه السلام مع قومه

الموضع الأول:

{□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ي □ ﭥ □ □ﭧ □ □ □ □ □} [سورة البقرة:54].

إن المتأمل في قصة سيدنا موسى مع قومه لا يخفى عليه كم قاسى هذا النبي الكريم من تعنت وصد من قومه لذلك كان هذا النبي العظيم من أولو العزم من الرسل والآية وردت في سياق قصته مع قومه وحواره معهم وورد لفظ القوم هنا لأن الحديث للعموم وقد ناسبت سياقها وموضعها.

وقد اتسم الحوار بخصائص بلاغية منها:

النداء: في قوله: {□}، وعرض النداء هنا "إيذانًا بالتحنن عليهم، وبأنه منهم وهم منه وهزًا لهم لقبولهم الأمر بالتوبة بعد تقريعهم بأنهم ظلموا انفسهم "[1].

-التأكيد: أكد ظلمهم؛ لأنفسهم بنون التوكيد في قوله: {□ □ □}، ونلمح التوكيد أيضاً في تكرار لفظة {□} "فتظل دعوة موسى سالكة طريق المهادنة، وهذا واضح من إيثار لفظ "البارئ" دون الصفات الأخرى في قوله: {□ □ □}، {□ ى ي □ ﭥ □ □}، ففيها دعوة رقيقة، للفتهم إلى النشأة العجيبة التي خلقهم الله عليها براء من التفاوت والعيوب، وعلى الرغم مما في صفة البارئ من لفت لين رقيق، فإنها قد حملت معاني زاجرة ممزوجة بالرقة يقول الزمخشري: "فيه تقريع بما كان منهم من ترك وعبادة العالم الحكيم، الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر إلى عبادة البقر التي هي مثلٌ في الغباوة والبلادة، وفيها تنبيه على عظم جرمهم، وقد لمح الشيخ ابن عاشور من لفظ البارئ معنى التحريض من موسى لقومه على التوبة؛ لأنها رجوع عن المعصية، ففيها معنى الشكر، وكون الخلق على مثال متناسب يزيد تحريضًا على شكر الخالق، ففي التعبير بالبارئ إذن، كما يقول البقاعي: "ترغيب لهم في طاعته بالتذكير والإحسان، وترهيب بإيقاع الهوان"[2].

-الحذف: قوله تعالى: {□ □ □ □ □} [سورة البقرة:51]، حذف مفعول الاتِّخاذ الثاني لدلالة السياق عليه، أي اتخذتم العجل من بعده إلهاً، وفي هذا الحذف ضغط للكلام ينأى به عن الفضفضة المبذولة.

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية (261،262/16).

[2] الطير والحيوان في النظم القرآني دراسة بلاغية د. محمد البهلول 189، 190.

الموضع الثاني

{□ □ □ بن بى بي تر □ □تن تى تي □ □ □□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □} [سورة البقرة:60].

وجاء اللفظ هنا قومه وناسبت موقعها؛ لأنه يدعو الله أن يسقي قومه، فالدعاء هنا لابد أن يكون للقوم جميعاً، فلا يصلح الدعاء للملأ دون القوم، كما أنها معجزة من معجزات موسى Σ، فناسب أن تكون للقوم جميعاً لا أن تكون للملأ.

وقد اتسمت الآية بخصائص بلاغية منها:

-اختيار الفعل: {تى} دون غيرها للدلالة على تأكيد السرعة والقوة في استجابة الله.

-أسلوب الأمر في قوله: {□ □ □ □ □}، فقد خرج أسلوب الأمر هنا من مقتضاه الحقيقي إلى معنى مجازي، وهو الامتنان، فهو يمنن عليهم بنعم الله عز وجل التي أغدقها عليهم.

-الإيجاز: في قوله: {□ □} في الآية إيجاز بالحذف، حيث حذف مفعول الأفعال {□ □}لإفادة العموم والشمول.

-الإيجاز بالحذف في قوله: {بي تر □ □}، فانفجرت والتقدير، فقلنا اضرب بعصاك الحجر، فضرب بعصاه الحجر فانفجرت.

" فحذف جملة ضرب، وحذفها يشير إلى سرعة إجابة موسى Σ وامتثاله أمر ربه، كما ينبئ بأن الانفجار مسبب عن الأمر {تر}وما صنعه موسى إنما هو أخذ بالأسباب"[(1)].

وقد جاءت لفظة القوم في حوار سيدنا موسى عليه السلام مع قومه في أكثر من موضع في القران الكريم؛ لتدل على نفس المعنى، وفيما يلي ذكر الآيات التي ذكر فيها لفظ القوم ومشتقاتها.

سورة البقرة : {□ ىر □ □ ين □ □ □ □ □ □□ □ □ بج بجبح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم} [سورة البقرة:67].

سورة المائدة: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ني ني □ ىر □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم □ جح □ حم □ خم □ □ □ □ سم □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □} [سورة المائدة:20-22].

سورة الأعراف: {□ □ □ □ بر □ □ بن بى بي تر □ □ □ تن تى} [سورة الأعراف:133].

---

(1) علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل علم المعاني، بسيوني (1/ 501)

وقوله تعالى: {تهـ ثمـ جم حم خم سم ... لخ لم لى لي مج مح ... نم نى ... يم يى} [سورة الأعراف:137-138].

وقوله: {... يم يى ...} [سورة الأعراف:145].

وقوله: {... بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم ... جم حم خم ... سم ...} [سورة الأعراف:148].

وقوله: {لخ لم لى لي ... نم نى ... يميى ... بر ...} [سورة الأعراف:150].

وقوله: {حم خم ... سم ... لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هم} [سورة الأعراف:155].

وقوله: {...} [سورة الأعراف:159].

سورة يونس: {بى بي تر ... تن تى تي ... نى ني ... ير ...} [سورة يونس:83-84].

سورة إبراهيم: {لخ لم لى لي ... نم نى ... يم يى ...} [سورة إبراهيم:6].

سورة طه: {... بر ... بن بى بي تر ... تن تى تي ... نى ني ير ... ين ... بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم ... جم حم خم ... سم ... لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه لخ لم لى لي ...} [سورة طه:79-88].

سورة المؤمنون: {... تن تى تي ...} [سورة المؤمنون:47].

سورة الفرقان: {... يم يى ...} [سورة الفرقان:35-36].

سورة الشعراء: {... نى ني ... ير ... ين ...

  } [سورة الشعراء:10-11].
سورة النمل: {   ﲛ ﲜ ﲝ
ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ} [سورة النمل:12].
سورة الصافات: {   }
[سورة الصافات:114-115].
سورة الدخان: {   } [سورة الدخان:17].
سورة الصف:{ ﲗ ﲙ   ﲝ
                   } [سورة الصف:5].
ومما سبق يتضح أن لفظة القوم ومشتقاتها وردت في قصة سيدنا موسى Σ مع قومه في مواضع كثيرة، وهي مقسمة كالآتي:
سورة البقرة (3) مواضع في الآيات (54، 60، 67)، وسورة المائدة (3) مواضع في الآيات (20- 22)، وسورة الأعراف (7) مواضع في الآيات (133، 137، 138، 145، 148، 150، 155، 159)، وسورة يونس في موضعين في الآيتين (83، 84)، وسورة ابراهيم موضع واحد في الآية (6)، وسورة المؤمنون موضع واحد في الآية (47)، وسورة طه (5) موضع في الآيات (79، 83، 85، 86، 87)، وسورة الشعراء موضع واحد في الآية (36)، وسورة الفرقان موضع واحد في الآية (47)،، وسورة النمل موضع واحد في الآية (12)، وسورة الصافات موضع واحد في الآية (115)، سورة غافر على لسان مؤمن آل فرعون (5) مواضع في الآيات من (29- 41) وسورة الزخرف موضع واحد في الآية (51) وسورة الدخان موضع واحد في الآية (17)، الصف موضع واحد في الآية رقم (5).
وجميع هذه المواضع ذكر فيها لفظة القوم مفردة دون لفظة الملأ؛ لأن جميع السياقات أتت في سياق الحديث للقوم جميعاً، ولم يختص فئة معينة منهم فعلى سبيل الاستشهاد لا الحصر نجد أن السياقات السابقة جاءت بلفظ القوم فقط لاقتضاء السياق لها واستدعاءه إياها.
ففي سياق التذكير بنعمة الله لابد من ذكر القوم دون الملأ؛ لأن نعم الله Δ للقوم جميعاً، فلم يؤثر إنساناً دون آخرين، كما جاء في قوله: {
   } [سورة المائدة:20]، وقوله: {ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ   }
[سورة إبراهيم:6].
وفي سياق الحديث عن إجرام قوم فرعون وظلمهم وفسوقهم وإضلال فرعون لهم كان الأنسب ذكر القوم دون الملأ لأن فرعون أضل قومه جميعاً ففي قوله: { ﲿ ﳀ} [سورة الأعراف:133].
وقوله: { ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲔ ﲖ ﲗ
 ﲙ   ﲝ   } [سورة الأعراف:148]، وقوله: { ٌّ ٍّ َّ } [سورة طه:79]، وقوله: { ﱻ ﱼ ﱾ   } [سورة

الشعراء:10]، وقوله: {□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ} [سورة النمل:12].

ويتكرر لفظ القوم مع مؤمن آل فرعون حين وجه نصائح متعددة إلى قومه الكاذبين، وهي نصائح نابعة من قلب خالطه الإيمان ونفس زكاها الإسلام، فكان الأنسب ذكر القوم دون الملأ، ومن ذلك قوله: {ﱎ ﱏ □} [سورة غافر:29]، وقوله: {ﱗ □ ﱙ □ □ □ ﱝ □ □ □ □} [سورة غافر:30]، وقوله: {□ □ □ □ ﲕ ﲖ ﲗ} [سورة غافر:32]، وقوله: {□ ﱗ □ ﱙ □ □ □ ﱝ □ □ □} [سورة غافر:39]، وقوله: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ} [سورة غافر:40]، فنجد أن الآيات السابقة ذكرت لفظ القوم فقط، وكلها تدور في حديث موسى مع قومه وحوار موسى مع قومه كفيل بأن تقوم حوله دراسة مستقلة؛ لكني أشرت إليه هنا في عجالة؛ لأن اهتمام بحثي كان حول القوم والملأ مقرونين ومجتمعين، وقد أشرت إلى بعض الخصائص البلاغية في موضعين فقط لاتضاح المسلك الحواري فيهما، وعلى سبيل الاستشهاد.

أما لفظة الملأ في حوار سيدنا موسى عليه السلام مع قومه، فقد جاءت مقترنة مع لفظة القوم في مواضع وبدون اقتران في مواضع أخرى، واللفظة ومشتقاتها وردت في ثمان سور وهي:

الأعراف في ثلاث مواضع في الآيات (103، 109، 127) يونس في ثلاث مواضع في الآيات (75، 83، 88)، وسورة هود في الآية رقم(97)، وسورة المؤمنون في الآية رقم (46)، وسورة القصص في الآية رقم (20)، وسورة الشعراء في الآية رقم (34)، وسورة الزخرف في الآية رقم (46).

وقد جمعت خمس سور بين اللفظتين القوم والملأ وهي (الأعراف ويونس والشعراء والزخرف) وفيما يلي هذه المواضع:

<u>الموضع الأول:</u>

{ﲟ ﲠ □ □ ﲣ ﲤ ﲥ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □} [سورة الأعراف:109-110].

وقوله: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ﱎ ﱏ □ ﱑ □ □ ﱔ □ □} [سورة الأعراف:127].

وقوله: {ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ □ ﲚ □ ﲜ □ ﲞ □ □ □ □ ﲣ} [سورة يونس:75].

وقوله: {ﱞ ﱟ ﱠ □ □ ﱣ ﱤ ﱥ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □} [سورة يونس:83].

وقوله: {ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ □ □ □ □ □ □ □ ﲁ □ □ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ □ □ □ □ □} [سورة المؤمنون:45-47].

في هذه المواضع ورد لفظ القوم والملأ فلفظة القوم أتت منسجمة مع

سياقها في الآيات؛ لأن سياق الحديث للعموم والشمول، ولما جاء الحديث في سياق الاتهام جاء التعبير بلفظ الملأ دون القوم؛ لأن من القوم من آمن لموسى Σ، وكذلك في موطن التحريض حرض الملأ فرعون على موسى وقومه الذين امنوا معه، فقد اتهموا موسى Σ بالسحر والإفساد في الأرض، فرد عليهم فرعون بأنه سيقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، وقد ناسبت اللفظة موضعها، فالحديث من الملأ وليس القوم؛ لأنهم هم أصل الاعتراض في كل عصر ومصر.

وقد اتسمت الآيات بخصائص بلاغية منها:

- المجاز المرسل: في قوله: {بي تر} نوع من المجاز المرسل، فقد يكون البعض قال والبعض لم يقل، بل سكت؛ ولكنه عندما سكت شمله الحكم بالموافقة على رأى الجميع، ونسبة القوم إلى فرعون يعطي دلالة قوية على اتباعهم له.

- التأكيد: بـ(إنَّ، واللام) وتوظيف الإشارة التي توحي بأنهم كانوا ينظرون إلى موسى نظرة الاحتقار، والدونية، فخاطبوه بهذا دون ذكر اسمه إمعانًا في السخرية والتحقير لشأنه، وزادوا في الوصف بصيغة المبالغة (عليم)؛ لتدل على براعته في السحر، وهذا يزيد من تأكيد قولهم، (استخدام المضارع يريد.. يخرجكم) للتجدد في رغبة موسى، ودلالة الضمير (كم) تؤكد أنها أرضهم، ولهم فيها الحق، فكأنه يقدم لهم الدافع في قتال موسى أو تعذيبه، فقدم السبب، ولم يقرر منفردًا العقاب، بل جعلهم من يقرر حتى يكسب دعمهم، وكأنه ينفذ إرادتهم، وليست رغبة نفسه.

- الاستفهام: في قوله: {□ □} استفهام لحثهم على اتخاذ قرار رادع ضد موسى، وفي نفس الوقت الفعل تأمرون.. جعلهم هم الآمرون، وهو المنفذ، فكأنه حريص على تنفيذ أوامرهم وحماية أرضهم، التركيب بماذا ثم الفعل جعلهم أمام خيار واحد، فهم لا يتوجهون للتفكير والنظر في صحة دعوة فرعون، بل يفكرون في نوع العقاب.

- استفهام استنكاري تعجبي فيه حث لفرعون لمنع فساد موسى وحماية أرضهم كما يزعمون، والاستفهام منبهاً للمقصود يقول الزمخشري: "وقرئ ويذرك والهتك بالرفع عطفاً على أتذر موسى بمعنى: أتذره ويذرك يعني تطلق له ذلك"[1]، "والاستفهام هنا يعطي للكلام صورة الخبر لإبراز الترك حاصلاً الحال بغرض تحريض فرعون وإثارته، وهذا يشير إلى أن الغرض من الاستفهام هو التحريض، فيكون سر الحذف منبهاً للغرض من الاستفهام، وقد جاء جواب فرعون متضمناً ما يشير إلى استجابته للتحريض

---

[1] الكشاف (2/ 104).

والإثارة"[1].

– المبالغة: في قوله: {} للدلالة على المبالغة والكثرة، والترتيب في العقاب الذي أعده فرعون لموسى (القتل للأبناء فهو عقاب روحي؛ لأن قلوب الآباء تتعلق بالأبناء، ثم يقضي على كرامتهم وعرضهم باستحياء النساء، ثم يقهرهم ولم يقل نقتلهم)، وكأنه رتب لهم عقابًا أشد من القتل، (دلالة فوقهم) تتناسب مع القهر الذي يستخدمه فرعون؛ لأن القهر لا يكون إلا ممن له قوة وعلو وسطوة)، (وإنا فوقهم) تعظيم فرعون لنفسه وملئه.

<u>الموضع الثاني:</u>

{} [سورة الأعراف:103].

{} [سورة هود:96-97].

{} [سورة الشعراء:34-35].

{} [سورة الزخرف:46].

في هذه الآيات أتى لفظ الملأ ويعني الحاشية وعلية القوم وبطانة فرعون، فكان من البديهي أن يبدأ سيدنا موسى عليه السلام بفرعون وحاشيته؛ وذلك لما جاء من قبل في قصة سيدنا موسى، حيث رُبي في قصر فرعون، وكان على دراية بحاشية فرعون وجاء ردهم كما هو مذكور في الآيات من الأعراض والتشكيك في الدعوة، ونصح فرعون بالتخلص ممن آمن مع موسى عليه السلام.

وقد أتسم الحوار في الآيات السابقة بخصائص بلاغية منها:

– دلالة الوصل: في عطف {}، وكأنها إرادة منفصلة صارت مجتمعة، فرغم أن الملأ له كيان منفصل إلا أنه صار تابعًا لإرادة فرعون، فشملهم العطف.

– {} الفاء التي أفادت السرعة في الترتيب والتعقيب على سوء الفعل وسرعة حدوثها، فكان عقابهم ناتج عن ظلمهم.

– التعريف بالعلمية: في اختيار (موسى) دون ألقاب أو أوصاف، فالتعريف به سابق، فكأنه يقول موسى الذي تعرفونه، وفرعون الذي تعرفونه، كما أن ذكر العلم هنا متجردًا من الألقاب؛ لأنه مكلف بتنفيذ

---

(1) الحوار في القران الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (150).

أمر، فهو مرسل بأمر من الله.

– إثبات صيغة الجمع: في قوله: {□ } للدلالة على الكثرة، و(نا) تكررت لنسبتها إلى الله والتأكيد على هذه النسبة لله، فموسى لم يتحرك بإرادته، بل وفق تكليف إلهي.

– دلالة الأمر: {□} مع الاستفهام (كيف)، وهو استفهام يحمل غرضين مختلفين أحدهما: الزجر والتهديد، وثانيهما: الاعتبار والاتعاظ من عاقبة الظلم، {□} استخدام المفسدين بمعنى الظالمين، وهذا لتناسب المعنى بين اللفظتين.

– التوكيد والاستعارة: في قوله: {□ □} للتوكيد، {□} استعارة، وكأنها شيء مادي يحمله موسى إلى فرعون وقومه، (إني) للتوكيد، الإضافة {□ □ □} للتوكيد والتخصيص الذي يبين أنه مرسل بأمر إلهي.

{□ لج لح لخ لم لى مج مح مخ مم نج نح نخ} [سورة يونس:88].

جاءت في هذه الآية لفظة الملأ، وقد ناسبت مكانها ولاءمت موضعها؛ لأن الحديث جاء في سياق الأموال والزينة، فالمال والزينة تكون عند الوجهاء وكبار القوم ولا تأتي عند القوم جميعاً.

وقد اتسمت الآية بخصائص بلاغية منها:

– النداء: في قوله: {□ □ □}، فقد جاء بغرض الدعاء والطلب.

– التأكيد والاستعارة: في قوله: {□ □}، ولم يقل أعطيت أو منحت، وهى تصنع استعارة، فكأن المأتي به هو إنسان يمشي على قدميه.

– وتقديم الزينة على الأموال؛ لأنها أشد وضوحًا ووقعًا وتأثيرًا في العامة.

– الكناية: في قوله: {□} كناية عن طريق الحق والهدى.

– التكرار: قوله: {□} للتأكيد والإلحاح على الطلب، تقديم السبب على النتيجة {□ - نخ}.

– أسلوب الأمر: في قوله: {□ - نخ} غرضه الدعاء على فرعون وقومه، والطمس مبالغة في المحو والازالة للمال، والفعل اشدد يدل على القسوة والشدة وربطه بغاية وتتمثل في العذاب الأليم، والعجيب رغم رغبته بأن يؤمنوا وحرصه على دعوة قومه إلا أنه هنا يجعل لذلك شرطًا يتمثل في تعذيبهم ثمنًا للوصول لهذا الإيمان، وهذا يدل على شدة ما واجهه من صعوبة معهم.

الموضع الرابع:

{ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ} [سورة القصص:20].

جاءت في هذه الآية لفظة الملأ في سياق التآمر والغدر لقتل موسى ∑، وقد ناسبت موضعها في السياق؛ لأن التآمر على موسى جاء من كبار القوم ولم يأت من القوم جميعاً.

وقد أتسمت الآية بخصائص بلاغية منها:

– التنكير: في قوله: {ﱃ} تنكير للدلة على إمكان تكرار القصة، وأنَّ العبرة تتمثل في الحدث لا الشخص، فليس مهمًا معرفة من هو بقدر أهمية سبب حضوره.

– {ﱅ} للدلالة على بعد المسافة وزاد من هذه الدلالة التي تبين المشقة للقدوم.

– {ﱆ} جاءت بالمضارع للدلالة على التجدد والاستمرار.

ولم يكن ذكر القوم في حوار موسى ∑ مع قومه فقط، بل ذكر في سياقات حوار مؤمن آل فرعون مع قومه واختارت السياقات لفظ القوم دون الملأ؛ لأن نصح مؤمن آل فرعون كان نصحاً عاماً للقوم جميعاً، فلم يؤثر به فرداً دون آخر؛ لذا لم يكن من المناسب ذكر لفظ الملأ، فاختار السياق ما هو أنسب وأليق، وانظر تلك السياقات:

سورة غافر: {ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ} [سورة غافر:29-32].

وقوله:{ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ} [سورة غافر:39-41].

سورة الزخرف: {ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ} [سورة الزخرف:51].

الفصل الثاني:
(مقامات ذِكْر القوم والملأ في سياقات أخرى متنوعة)

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول:
(الملأ) في سياق حوار ملك مصر معبري الرؤى.

المبحث الثاني:
(الملأ) في سياق حوار بِلقيسَ قومَها.

المبحث الثالث:
(الملأ) في سياق الحديث عن استراق الشياطين للسمع من السماء.

المبحث الرابع:
(الملأ) في سياق وصايا المشركين بعضهم بعضاً.

المبحث الخامس:
(الملأ) في سياقات أخرى متباينة..

الملأ حوار ملك مصر مع معبري الرؤى

جاء حوار ملك مصر مع قومه في سورة يوسف، وقد ورد لفظ الملأ في آية واحدة في قوله تعالى: {□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋﲌ} [سورة يوسف:43] في هذا الحوار جاء التعبير بلفظ الملأ دون لفظ القوم؛ لأن طلب تفسير الرؤيا لابد أن يكون من الكبار والوجهاء وأصحاب العلم، فليس من المعقول أن يطلب من القوم جميعاً تفسير رؤيا الملك، وقد ناسبت موضعها ولاءمت سياقها، وقد اتسم الحوار بخصائص بلاغية منها:

-دلالة التعريف: في (الملك) و(للرؤيا)، فقد عرف المسند إليه، وهو تعريف بالعهد؛ لأنه معروف لكم و" التعريف في قوله للرؤيا تعريف العهد، والمعهود الرؤيا التي كان يقصها عليهم على طريقة إعادة النكرة معرفة باللام أن تكون الثانية عين الأولى. والمعنى: إن كنتم تعبرون هذه الرؤيا"[1].

-(قال) استمرار الحوار في هيئة السؤال والجواب وهو تأكيد لديناميكية القصص القرآني، ذكر مسبقاً.

-دلالة التأكيد: في قوله تعالى: {□ □}، وقد جاء التأكيد مقروناً بالفعل للتأكيد على الرؤيا.

- دلالة التعبير بالمضارع: في قوله: {□ □ □ □ □}، وقد جاء التعبير بالفعل المضارع دون الماضي لاستحضار الصورة الذهنية، و"حكاية للحال لشدة ما هاله من ذلك "[2].

-دلالة النداء: {□ □}، وقد خرج النداء مقروناً باسم الإشارة للحث وطلب المساعدة؛ لتفسير الرؤيا "وعظم الأمر الذي نودي من أجله وليبادر المنادى بالاستجابة"[3].

-دلالة الأمر: في قوله تعالى: {□ □ □}، وقد جاء أسلوب الأمر لغرض الرجاء والتمني.

-أسلوب الإيجاز بالحذف: في قوله تعالى: {□ □ □ □ □ □}، وقوله: {□ □ □ □ □} لدلالة السياق عليه.

-جاءت(إن) في قوله: {ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ} للشك والتلمس للهدف وهو العثور على من يستطيع تفسير الرؤيا.

---

[1] – مرجع سابق التحرير والتنوير (12 / 282)

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (4 / 46).

[3] علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ص (414).

الملأ في حوار بلقيس مع قومها.

جاء لفظ الملأ في حوار بلقيس مع قومها في آيتين من سورة النمل، وهما:

قال تعالى: {ني □ ير □ □ ين □ □ □} [سورة النمل:29].

قال تعالى: {□ جم □ حم □ خم □ □ □ سم □ □ □} [سورة النمل:32].

في هاتين الآيتين ذكر الملأ دون القوم؛ لأن الاستشارة تكون لأهل النهى، وعلية القوم، ولا تكون من القوم جميعاً فلاءمت سياقها وناسبت مكانها.

وقد أتسمت هاتان الآيتان بخصائص بلاغية منها:

-النداء: في قوله تعالى: {□} في هذا النداء لفت وتنبيه وإشارة لتحريك نفوس الملأ واستمالتهم نحوها، وقد تكرر في الآيتين.

-التوكيد: في قوله تعالى: {□ □ ين} للدلالة على "اهتمامها بمرسل الكتاب وبما تضمنه الكتاب"[(1)].

-حذف المسند إليه: في قوله تعالى: {□ □ ين} جاء الحذف؛ "لأن في الكلام دليلًا عليه"[(2)]، وتظهر عفة الهدهد التي ينبغي على الإنسان العاقل أن يتصف بها.

-التنكير: في قوله تعالى: {□ □}، وقد جاء تنكير كتاب هنا للتعظيم وزادته الصفة تعظيماً فوق تعظيم قال الرازي: "كتاب كريم فيه ثلاثة أوجه: أحدها: حسن مضمونه، وما فيه وثانيها: وصفته بالكريم لأنه من عند ملك كريم.

ثالثها: أن الكتاب كان مختوما "[(3)].

-دلالة أسلوب الأمر: في قوله تعالى: {حم □ خم}، وقد جاء أسلوب الأمر، لغرض الرجاء والتمني.

-دلالة النفي: في قوله تعالى: {□ □ □ سم} دلالة على نفي الأمر في الماضي، فإنها فيما مضي لم تقطع أمرًا دون مشورتهم، {□ سم} توظيف اسم الفاعل مع الاستعارة، فليس الأمر شيئًا ماديًا يقطع، ولكن المعنى اتخاذ قرارًا، كما دلّ اسم الفاعل على الثبوت والاستقرار في حالها وثباتها على

---

(1) – مرجع سابق التحرير والتنوير (19 / 259)

(2) معاني القران وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي (4 /117).

(3) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (24 / 554).

المشورة في نظام الحكم.
– دلالة استخدام الفعل المضارع: في قوله تعالى: {□ □}، فقد جاء المضارع للتجدد والاستمرار.

الملأ في سياق الحديث عن استراق الشياطين للسمع من السماء

جاء التعبير بلفظ الملأ في سياق الحديث عن استراق الشياطين السمع من السماء في آية واحدة في سورة الصافات، وفيما يلي دراستها:

قال تعالى: {□ □ □ □ □ □ □ بر □ □} [سورة الصافات:8].

في هذه الآية جاء لفظ الملأ دون القوم والمقصود بالملأ في هذه الآية هم الملائكة، فليس من المناسب هنا التعبير بلفظ القوم.

وقد اتسمت هذه الآية بخصائص بلاغية منها:

-دلالة التشديد واختيار اللفظ المثقل في قوله تعالى: {□ □ □ □}.

-حذف المسند إليه من الفعل في قوله تعالى: {□ □ بر □} دلالة على التهويل.

الملأ في سياق الحديث عن وصايا المشركين بعضهم لبعض

جاء التعبير بالملأ في سياق الحديث عن وصايا المشركين بعضهم لبعض في موضعين من القرآن الكريم في سورة القصص وسورة ص، وفيما يلي دراسة كل آية على حده:

الآية الأولى:

قال تعالى: { □ □ □ ﭥ □ □ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ □ □ ﭭ ﭮ ﭯ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ } [سورة القصص:38].

في هذه الآية جاء التعبير بلفظ الملأ دون لفظ القوم، وقد ناسبت سياقها ولاءمت مكانها فخطاب فرعون جاء لحاشيته وكبار قومه.

وقد أتسم الحوار بخصائص بلاغية منها:

–دلالة النفي: في قوله تعالى: { □ □ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ}، وقد جاء نفي العلم لإثبات الألوهية لنفسه، فإن نفي الشيء هو إثبات لنقيضه، (من) زائدة للتأكيد.

–أسلوب القصر: في قوله تعالى: { □ □ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ}، وقد جاء لتوكيد أمر ألوهيته لهم.

–دلالة التنكير: {ﭨ ﭩ} نكرة للعموم والشمول أي ليس لكم أي إله.

–دلالة أسلوب الأمر: في قوله (أوقد – أجعل) جاء أسلوب الأمر " للإثارة والإلهاب والتهييج الذي يتصور منه خلافه "[1].

– دلالة الإضافة: في قوله: { □ □} كناية عن عدم إيمان به، فأضافه إلى موسى.

–دلالة التأكيد: في قوله: {□} للتأكيد، لكنه تبعه{□} لتأكيد ظنه بكذب موسى، وكأنه نظرًا لعلمه بأن موسى لا يثبت عنه الكذب فيما مضى، فلم يستطع أن يجزم بكذبه الآن، واستخدام صيغة اسم الفاعل لتأكيد ثبات الكذب، فإن اسم الفاعل تصاحب الثبات ومبالغة من فرعون في رسوخ الكذب في نفس موسى ∑.

الآية الثانية: قال تعالى: {ﭩ ﭪ □ □ ﭭ ﭮ ﭯ □□ □□ □ □ □ □ □} [سورة ص:6].

جاء في هذه الآية التعبير بلفظ الملأ دون القوم؛ لأن النصح والإرشاد غالباً ما يكون من علية القوم، فقد جاءت مناسبة للسياق.

وقد جاءت في الآية خصائص بلاغية منها:

–دلالة التأكيد: في قوله: { □ □ □ □}" تعليل للأمر بالصبر على

---

[1] علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمائل علم المعاني (367)

آلهتهم لقصد تقوية شكهم في صحة دعوة النبيء H بأنها شيء أراده لغرض أي ليس صادقا ولكنه مصنوع مراد منه مقصد "[1].

– دلالة الأمر: في قوله (امشوا – اصبروا) التعبير بالفعل الأمر جاء على سبيل النصح والإرشاد " أي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا {واصبروا على آلهتكم} أي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح"[2]..

---

[1] التحرير والتنوير (23 / 212).

[2] تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (215/7).

الملأ في مواطن مختلفة

جاء لفظ الملأ في ثلاث مواطن مختلفة من القران الكريم، فقد جاء في سورة البقرة، وسورة النمل، وسورة ص، وفيما يلي دراسة كل آية على حده:

الآية الأولى:

قال تعالى: {...} [سورة البقرة:246].

جاءت في هذه الآية لفظ الملأ دون لفظ القوم، وقد ناسبت سياق الآيات؛ لأن الطلب أتى من كبار القوم الذي دل سياق الآية عليه.

وقد أتسمت الآية بخصائص بلاغية منها:

-دلالة الاستفهام: في قوله: {...} استفهام تعجبي واستنكاري يقتضي منهم النظر والاعتبار.

- {...} استفهام للاستنكار والتعجب.

-دلالة الأمر: {...}، وقد خرج الأمر عن دلالته للتهكم والسخرية " كان قولاً باللسان ليس وراءه رصيد من الصدق؛ ولهذا توجس نبي الله في صدق النية، فقال: {...}، كما يُشير أنهم كانوا مغالطين مجترئين حين تمادوا بالكذب، و(ألا) تأكيد النفي، و(قد) للتوكيد.

- {...} التعبير كناية عن مدى الظلم الذي تعرضوا له.

الآية الثانية:

قال تعالى: {...} [سورة النمل:38].

في هذه الآية جاء التعبير بلفظ الملأ دون القوم؛ لأن الحديث موجه للحاشية، وعلية القوم وليس موجه لجميع القوم.

وقد اتسمت الآية بالخصائص البلاغية التالية:

دلالة النداء: في قوله: {...} في النداء لفت وتنبيه وإشارة للفت انتباههم وشحذ هممهم لطلب سرعة استجابتهم.

دلالة الاستفهام: في قوله تعالى: {...} استفهام يبدو أنه حقيقي، لكنه بغرض التنافس والحث على سرعة الاستجابة للأمر؛ لإحضار عرش بلقيس.

الآية الثالثة:

قال تعالى: {...} [سورة ص:69].

في هذه الآية جاء لفظ الملأ دون القوم والمقصود بالملأ في هذه الآية

هم الملائكة، فليس من المناسب هنا التعبير بلفظ القوم.

وقد جاءت في الآية الخصائص التالية:

-نفي الشيء هو إثبات لنقيضه؛ ولذا هنا تأكد الأمر بوجهين استخدام النفي مع التقديم والتأخير الذي {□ □} أسلوب للقصر بهدف تأكيد الأمر.

دلالة التعبير بالفعل المضارع {□ □} الذي يدل على التجدد والاستمرار.

الخاتمة

بحمد الله تعالى وحسن توفيقه تَقرَّر من خلال هذا البحث المتواضع كثيرٌ من النتائج التي أهمُّها أنه:

1 - وردت كلمة (القوم) مُنْفَرِدَةً في كثير من السياقات القرآنية، حيثُ جاءت في حوالَي سبعةٍ وخمسين ومائتين موضعاً؛ وتلك الكثرة تَتَّسِقُ مع كونها أخَصَّ بالأقوامِ المحكومين، وربما شملت معهم الحاشيةَ الحاكمة أو المسؤولين المُلْتَفِّين حول الملوك- الذين يخاطبهم الأنبياء- عليهم السلام-.

3 - جاءت كلمة (الملأ) منفردة في السياقات القرآنية في عشرة مواضع فقط؛ وتلك القِلَّة تَتَّسِق مع كونها خاصّة بالحاشية المقرَّبة من الملوك- الذين يخاطبهم الأنبياء- عليهم السلام-، ولا تشمل معهم عوامَّ الأقوام..

4 - وردت كلمتا (القوم، الملأ) مُقْتَرِنَتَيْنِ في الحوار القرآنيّ في عشَرة مواضع فقط، وهذا الاقتران يَزيد كل كلمة منهما اختصاصا بمقصودها، وأن الأولى بالعوام أخصُّ، وأن الثانية بالحاشية أمسّ..

5 - تَجَلَّتْ الدِّقَّة القرآنية في توزيع كَلِمَتَي (قوم، ملأ) على مواضعهما الأنسب لكلٍّ منهما حيث وَرَدَتا في الذكر الحكيم، فلا يمكن لأحد إحلالُ إحداهما مَحلَّ الأخرى وتؤدي إشاراتِها المقصودةَ منها بهذه الدِّقَّة الدقيقة.

6 - أدت كل كلمة من كلمتي (القوم، الملأ) الدلالاتِ المطلوبةَ منها في السياقات القرآنية بدقة بالغة.

7 - تجلى أن أكثر المواضع التي ورودت فيها إحدى هاتين الكلمتين (القوم، الملأ) في حوار الأنبياء أقوامهم جاء في حِوار نُوحٍ وهود وصالح وشعيب وموسى عليه السلام أقوامهم..

والله تعالى ولي التوفيق

المصادر والمراجع

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ) الناشر: دار إحياء التراث.
2- أسلوبية الحوار في القران الكريم، أ. د. رسول حمود الدوري جائزة دبي الدولية للقران الكريم.
3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى - 1418هـ.
4- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: 1420 هـ.
5- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
6- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1996م.
7- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984 هـ.
8- تفسير ابن كثير، المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى - 1419 هـ.
9- الحوار في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية (رسالة دكتوراه)، د. محمد إبراهيم عبدالعزيز شادي - الطبعة: الأولى 1431 هـ - عدد الأجزاء: 1عدد الصفحات: 383الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع، عالم الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.
10- درة التنزيل وغرة التأويل دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين الناشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (30) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001م.
11- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة 1413هـ - 1992م.
12- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
13- الطير والحيوان في النظم القرآني دراسة بلاغية، د. محمد بن محمود البهلول رسالة دكتوراه، مخطوط في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر.
14- علم البيان دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، د. بسيوني عبدالفتاح فيود، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع 2015م.
15- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني - د بسيوني عبد

الفتاح فيود (ط4)مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الرابعة 1436هـ - 2015م.
16- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.
17- فتح القدير للشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - 1414 هـ.
18- الفروق اللغوية، للعسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
19- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
20- اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، 1419 هـ -1998م.
21- لسان العرب، ابن منظور، المحقق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي دار النشر: دار المعار البلد: القاهرة.
22- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – 1422هـ.
23- مختار الصحاح، الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيرت، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.
24- معاني القران وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988م.
25- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر الطبعة: الأولى.
26- معجم ألفاظ القرآن الكريم (الجزء الأول) من الهمزة إلى السين، مجمع اللغة العربية، الناشر: مجمع اللغة العربية، مصر الطبعة: الثانية، 1984م.
27- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - 1420هـ.
28- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر.
29- من هدي القرآن، آية الله السيد محمد تقي المدرسي، الناشر: دار القارئ للطباعة والنشر. تأريخ الاصدار: 1429هـ-2008م تفسير بلاغي لسورة المؤمنون.
30- النبأ العظيم، محمد بن عبدالله دراز، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة 1426هـ- 2005م.
31- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي،

القاهرة.